كتاب

شرح الأربعين النووية

تأليف

يحيى بن شرف الدين النووي

تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه

حققه وأكمل شرحه وتعليقاته

خادم العلم

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

الشئون الدينية

الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وخصنا برسالة سيد الأنام ، ووضح لنا الحلال والحرام ، وأرشدنا إلى ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدارين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، أفضل من صلى وصام وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام . .

وبعد : فإن خير ما يستفيد منه المتعلم هو كتاب الله وهدي رسوله الكريم . إذ أن الله أمرنا باتباعه وطاعته فقال تعالى: « وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقال — جل ذكره — : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ، وقال تعالى : « قُل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، وقال تعالى « قُل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله » وآيات كثيرة تحث على متابعة هدي رسوله صلى الله عليه وسلم .

وخير مختصر في الأحاديث الأربعينيات النبوية هو الأربعون النووية الذي جمعه وألفه : محي الدين النووي — رحمه الله — وقد أوجز عليه شرح يستفاد منه بالاختصار .

لذلك ، فقد استخرت الله تعالى في وضع بعض التعليقات والإكمال لما لم يشرح من الأحاديث والإيضاحات عليه ، ولا ريب فإن خير ما يشتغل به المسلم نشر العلم ليكون أثراً باقياً بعده .

وقد نظمنا إيضاح معاني الحديث ومقاصده على الترتيب الآتي :

١ ــ عنوان الحديث .

٢ ــ ترجمة الراوي الصحابي على سبيل الإيجاز .

٣ ــ متعلقات الحديث .

٤ ــ مفردات الألفاظ بالحديث .

٥ ــ إكمال الشرح التفصيلي بالحديث ، إذا كان الحديث مفتقراً لإكمال الشرح .

٦ ــ مقاصد الحديث .

٧ ــ ما يستنبط من الحديث .

والله أسأل أن يوفقنا لنشر العلم النافع ، وأن يهيئ لنا المقاصد الصالحة ، وأن يلهمنا الصواب ، وأن يرزقنا علم ما لم نعلم ، في كل ما نحرره ونحققه ونمليه ، وأن يجزل للمؤلف الجزاء الأوفى من الأجر والثواب .

السبت ١٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ. عبد الله إبراهيم الأنصاري

حيـــاة الإمام النـــووي

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي ، ولد – رضي الله عنه – في محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى من أعمال دمشق وبها نشأ وحفظ القرآن ، ثم رحل إلى دمشق في طلب العلم فسكن المدرسة الرواحية ، وحفظ التنبيه للشيرازي في نحو أربعة أشهر ونصف ، ثم حفظ ربع العبادات من المهذب للشيرازي في باقي السنة ، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً .

صنف شرح مسلم ورياض الصالحين والأذكار والأربعين « وسميت باسم الأربعين النووية » والتبيان في آداب حملة القرآن ومختصره والمنهاج والروضة والفتاوى والمجموع والإيضاح والإيجاز وتحرير ألفاظ التنبيه والترخيص في القيام لأهل الفضل والإرشاد والتقريب والمبهمات وطبقات الفقهاء وتهذيب الأسماء واللغات ومختصر أسد الغابة ومناقب الشافعي وغيرها كثير .

وقد بلغ من الورع والزهد شوطاً بعيداً ، وكان يواجه الملوك والأمراء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد اتصف بثلاث صفات لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال .

المرتبة الأولى : العلم ، والثانية : الزهد ، والثالثة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي سنة ست وسبعين وستمائة عاد إلى نوى بعد أن رد الكتب المستعارة من الأوقاف وزار مقبرة شيوخه فقرأ ودعا وبكى وزار أصحابه وودعهم ، فخرج جماعة منهم لتوديعه إلى ظاهر دمشق وسألوه : متى الاجتماع ؟ فقال : بعد ماقي سنة ، فعلموا أنه عنى القيامة ، وبعد أن زار والده وبيت المقدس والخليل ثم عاد إلى نوى فمرض فيها وتوفي – قدس الله سره – في ليلة الأربعاء ليلة أربع وعشرين من رجب عام ست وسبعين وستمائة وكان له من العمر خمسة وأربعون سنة وسبعة أشهر أجزل الله له الأجر والثواب .

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » .

« قرآن كريم »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والأرضين ، مدبر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – إلى المكلفين لهدايتهم وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين ، أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين ، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين سيدنا محمد ، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وآل كل وسائر الصالحين .

أما بعد : فقد روينا عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهم – من طرق كثيرات ومن روايات متنوعات ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من حفظ على أُمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء » . وفي رواية : « بعثه الله فقيهاً عالماً » . وفي رواية أبي الدرداء : « وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً » . وفي رواية ابن مسعود : « قيل له : ادخل من أي أبواب الجنة شئت » ، وفي رواية ابن عمر : « كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء » ، واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ، وقد صنف العلماء – رضي الله عنهم – في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم ابن أسلم الطوسي العالم

الرباني ، ثم الحسن بن سفيان النسائي وأبو بكر الآجري وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني والدارقطني والحاكم وأبو النعيم وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو سعيد الماليني وأبو عثمان الصابوني وعبد الله بن محمد الأنصاري وأبو بكر البيهقي وخلائق لا يحصرون من المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً ، اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام ، وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف(١) ، ولقوله – صلى الله عليه وسلم – في الأحاديث الصحيحة : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها » ، ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها .

وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله ، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك . ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم ، وأذكرها محذوفة الأسانيد ، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب في ضبط ما خفي من ألفاظها .

وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لما تدبره ، وعلى الله اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي ، وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة .

(١) المحفوظ في فضائل الأعمال .

الحديث الأول

الإخـــلاص

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ : أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهْ الْبُخَارِيُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ .

ترجمة الراوى

عمر بن الخطاب

هو أول من لقب بأمير المؤمنين على العموم ، والذي كناه بأبي حفص النبي – صلى الله عليه وسلم – لما رأى فيه من الشدة . والحفص لغة : الأسد ، ولقبه بالفاروق ، لأنه كان شديداً ليفرق بين الحق والباطل ، فهو أول من جهر بالإسلام وأيّد الله به دعوة الصادق المصدوق ، لما قال – صلى الله عليه وسلم – : « اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل) » .

وسبب إسلامه أنه لما بلغه إسلام أخته فاطمة وزوجها سعد بن زيد ، قصدهما ليعاقبهما ، فقرأت عليه أخته شيئاً من القرآن بعد أن طلب عمر ليسمع شيئاً منه ، وقيل : إن الذي قرأ هو خباب بن الأرت ، قرأ أول سورة طه إلى قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى » . فوقر الإسلام في قلب عمر ، وسأل عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذهب إليه وأسلم بعدما صافحه الرسول وقال له : « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » ، أما آن لك أن تسلم يابن الخطاب ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ولقد كبر المسلمون فرحاً بإسلامه وبشره النبي – صلى الله عليه وسلم – بالجنة ، وشهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه ، وأن الشيطان يفر منه وهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر – رضي الله عنه – وأجمعوا على كثرة علمه وشدة ذكائه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين واهتمامه بمصالحهم ، ومناقبه – رضي الله عنه – كثيرة ، وروي له عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً ، وعاش ثلاثاً وستين سنة ومات شهيداً بطعنة من أبي لؤلؤة ودفن في الحجرة عند النبي – صلى الله عليه وسلم – ويكفيه شرفاً وفخراً أن الله أنزل آيات من القرآن على مراده كآية الأمة وآية الصلاة في مسجد الضرار .

واستمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال ، فرضي الله عنه وأرضاه وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

هدف الحديث

متعلقات الحديث :

هذا حديث صحيح مشهور متفق عليه أخرجه الأئمة الستة في كتبهم وغيرهم عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – .

وهو مدار الإسلام ومن جوامع حكمه – صلى الله عليه وسلم – وقد تواتر النقل عن الأعلام بعموم نفعه وعظيم وقعه وافتتاح الكتب به لعموم الحاجة إليه ، وقال أبو عبيدة : ليس في الأحاديث النبوية شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه ، وقد اتفق الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وابن مهدي وأبو داود والدارقطني وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال : ربعه ووجه البيهقي كونه ثلث العلم : بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها ، ومن ثم ورد « نيّةُ المؤمن خير من عمله »، وقال ابن المهدي : حديث النيّة يدخل في ثلاثين باباً من العلم ، وقال الشافعي : يدخل في سبعين باباً ، وقال بعض العلماء : لو صنفت مائة كتاب لبدأت في أول كتاب بهذا الحديث .

ايضاح الحديث الاول

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وعك فيها أصحابه وقدم رجل يريد أن يتزوج امرأة كانت مهاجرة ، فجلس رسول الله ﷺ على المنبر ، فقال : « أيها الناس إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى ثلاثاً ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته في دنيا يطلبها أو امرأة ينكحها (يخطبها) ، فإنما

هجرته إلى ما هاجر إليه ، ثم رفع يديه فقال : اللهم انقل عنا الوباء ثلاثاً ، فلما أصبح قال : أتيت هذه الليلة بالحمى ، فإذا بعجوز سوداءِ ملبية في يدي الذي جاءِ بها ، فقال : هذه الحمى فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها تحم ونقل الحافظ السيوطي : أن قصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور في سننه ونسبه على شرط الشيخين عن ابن مسعود ، قال مهاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك ، وقال ابن مسعود : فكنا نسميه مهاجر أم قيس ، قال ابن دقيق العيد : ولهذا خص في الحديث ذكر المرأة دون سائر ما ينوي به الهجرة من أفراد الأغراض الدنيوية .

مفردات الحديث :

النيّات : جمع نية وهي القصد .

وبعبارة أوسع هي : (انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرضٍ من جلب نفعٍ أو دفع ضررٍ) .

وفي الشرع : الإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء إرضاء الله وامتثال حكمه .

إنما : تفيد التأكيد والقصر .

الهجرة : ترك مكان إلى مكان آخر مأخوذ من الهجر .

وفي الشرع : ترك دار الخوف إلى دار الأمن ، كما فعل بعض الصحابة في تركهم مكة إلى الحبشة أول الأمر .

وفي ترك دار الكفر إلى دار الإسلام ، فراراً بالدين ، كما فعل المسلمون في مغادرتهم مكة إلى المدينة كما انتشر الإسلام فيها .

وتستعمل في ترك ما نهى الله عنه .

الدنيـــا : مؤنث أدنا مأخوذة من الدنو وهو القرب ، وتطلق على الحياة الأولى للإنسان. قال تعالى : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى » .

الشرح التفصيلي :

دل الحديث على أن النيّة معيار لتصحيح الأعمال. فحيث صلحت النية صلح العمل ، وحيث فسدت النية فسد العمل، وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال :

(الأول) : أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالى وهذه عبادة العبيد .

(الثاني) : أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب وهذه عبادة التجار

(الثالث) : أن يفعل ذلك حياء من الله تعالى وتأدية لحق العبودية وتأدية للشكر ، ويرى نفسه مع ذلك مقصراً ، ويكون مع ذلك قلبه خائفاً، لأنه لا يدري هل قبل عمله مع ذلك أم لا ، وهذه عبادة الأحرار ، وإليها أشار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما قالت له عائشة — رضي الله عنها —

حين قام من الليل حتى تورمت قدماه : « يا رسول الله ! أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ».

فإن قيل : هل الأفضل العبادة مع الخوف أو مع الرجاء ؟ قيل : قال الغزالي ــ رحمه الله ــ: العبادة مع الرجاء أفضل ، لأن الرجاء يورث المحبة ، والخوف يورث القنوط ، وهذه الأقسام الثلاثة في جانب المخلصين .

وأعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب ، فمن أعجب بعمله حبط عمله ، وكذلك من استكبر حبط عمله .

الحال الثاني : أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعهما ، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود، واستدل بقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الخبر الرباني : « يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه »(١) . وإلى هذا ذهب الحارث المحاسبي في كتاب الرعاية ، فقال : الإخلاص أن تريده بطاعته ولا تريد سواه .

والرياء نوعان : أحدهما لا يريد بطاعته إلا الناس ، والثاني أن يريد الناس ورب الناس وكلاهما محبط للعمل ، ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم في الحلية عن بعض السلف ، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى : « الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » ، فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك تكبر أن يقبل عملا أشرك فيه غيره ، فهو تعالى أكبر وكبير ومتكبر .

وقال السمرقندي ــ رحمه الله تعالى ــ : ما فُعل لله تعالى قُبلَ وما فُعلَ من أجل الناس رُدّ ، ومثال ذلك : من صلى الظهر ــ مثلا ــ وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه ولكنه طوّل أركانها وقراءتها وحسن هيئتها من أجل الناس ، فأصل الصلاة مقبول ، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس .

---

(١) رواه ابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي وراه ابن ماجة ثقات .

وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، عمن صلى فطوّل صلاته من أجل الناس . فقال : أرجو أن لا يحبط عمله ، هذا كله إذا حصل التشريك في صفة العمل ، فإن حصل في أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس فلا تقبل صلاته لأجل التشريك في أصل العمل ، وكما أن الرياء في العمل يكون في ترك العمل . قال الفضيل بن عياض : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص يعافيك الله منهما ، ومعنى كلامه – رحمه الله تعالى – : أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس ، فهو مراء لأنه ترك العمل لأجل الناس ، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة ، أو زكاة واجبة ، أو يكون عالماً يقتدى به ، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل ، وكما أن الرياء محبط للعمل ، كذلك التسميع ، وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « مَن سمَّع سمَّع الله به ومَن يرائي يرائي الله به »(١) .

قال العلماء : فإذا كان عالماً يقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعلموا به فلا بأس .

قال المرزباني – رحمة الله تعالى عليه – : يحتاج المصلي إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته :

حضور القلب وشهود العقل وخضوع الأركان وخشوع الجوارح :

فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصل لاه .

ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصل ساه .

ومن صلى بلا خضوع الجوارح فهو مصل خاطىء .

ومن صلى بهذه الأركان فهو مصل واف .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إنما الأعمال بالنيات) أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات ، قال الحارثي المحاسبي : (الإخلاص لا يدخل

---

(١) رواه الشيخان .

في مباح لأنه لا يشمل على قربة ولا يؤدي إلى قربة كرفع البنيان لا لغرض ، بل لغرض الرعونة ، أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة فيكون مستحباً (. قال : ولا إخلاص في محرم ولا مكروه ، كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر في صنع الله تعالى ، كالنظر إلى الأمرد وهذا لا إخلاص فيه ، بل لا قربة البتة .

قال : فالصدق في وصف العبد في استواء السر والعلانية والظاهر والباطن والصدق يتحقق بتحقق جميع المقامات والأحوال ، حتى أن الإخلاص يفتقر إلى الصدق ، والصدق لا يفتقر إلى شيء ؛ لأن حقيقة الإخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة ، فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها ، والصدق هو إرادة الله تعالى بالعبادة مع حضور القلب إليه . فكل صادق مخلص وليس كل مخلص صادقاً ، وهو معنى الاتصال والانفصال ، لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله ، وهو معنى التخلي عما سوى الله والتحلي بالحضور بين يدي الله سبحانه وتعالى .

قوله — صلى الله عليه وسلم — : (إنما الأعمال) يحتمل : إنما صحة الأعمال أو تصحيح الأعمال أو قبول الأعمال أو كمال الأعمال ، وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة — رحمه الله تعالى — ويستثنى من الأعمال ما كان من قبيل التروك ، كإزالة النجاسة ورد المغصوب والعواري ، وإيصال الهدية وغير ذلك فلا تتوقف صحتها على النية المصححة ، لكن يتوقف الثواب فيها على نيّة التقرّب ، ومن ذلك ما إذا أطعم دابته ، إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه يثاب ، وإن قصد بإطعامها حفظ المالية فلا ثواب ، ذكره القرافي .

ويستثنى من ذلك فرس المجاهد ، إذا ربطها في سبيل الله فإنها إذا شربت وهو لا يريد سقيها أثيب على ذلك ، كما في صحيح البخاري ، وكذلك الزوجة وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم ، إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب . وإن قصد أمراً آخر فلا .

واعلم أن النيّة لغة : القصد يقال نواك الله بخير : أي قصدك بـ ، والنيّة شرعاً قصد الشيء مقترناً بفعله ، فإن قصد وتراخى عنه فهو عزم ، وشرعت النيّة لتمييز العادة من العبادة ، أو لتمييز العبادة بعضها عن بعض ،

مثال الأول : الجلوس في المسجد قد يقصد للاستراحة في العادة ، وقد يقصد للعبادة بنيّة الاعتكاف ، فالتمييز بين العبادة والعادة هو النيّة ، وكذلك الغسل : يقصد به تنظيف البدن في العادة ، وقد يقصد به العبادة ، كأن يقصد فرضاً لغسل الجنابة أو سنة غسل الجمعة ، فالمميز هو النيّة وإلى هذا المعنى أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – حين سئل عن الرجل يقاتل رياءً ويقاتل حمية ويقاتل شجاعة : أي ذلك في سبيل الله تعالى ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى »(١) .

ومثال الثاني : وهو المميز رتب العبادة كمن صلى أربع ركعات قد يقصد إيقاعها عن صلاة الظهر ، وقد يقصد إيقاعها عن السنن ، فالمميز هو النيّة ، وكذلك العتق : قد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيره ، كالنذر ونحوه ، فالمميز هو النيّة ، وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وإنما لكل امرئ ما نوى » دليل على أنه لا تجوز النيابة في العبادات ولا التوكيل من نفس النيّة ، وقد استثنى من ذلك تفرقة الزكاة وذبح الأضحية ، فيجوز التوكيل فيهما في النيّة والذبح والتفرقة مع القدرة على النية ، وفي الحج : لا يجوز ذلك مع القدرة عليه ودفع الدين ، أما إذا كان على جهة واحدة لم يحتج إلى نيّة ، وإذا كان على جهتين كمن عليه ألفان بأحدهما رهن فأدى ألفاً وقال : جعلته عن ألف الرهن صدّق ، فإن لم ينو شيئاً حالة الدفع نوى بعد ذلك ، وجعله عما شاء ، وليس لنا نيّة تتأخر عن العمل وتصح إلا هنا .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها

---

(١) رواه الشيخان .

فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، أصل المهاجرة : المجافاة والترك ، فاسم الهجرة يقع على رموز :

١ – هجرة الصحابة – رضوان الله عليهم – من مكة إلى الحبشة ، حين آذى المشركون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففروا منهم إلى النجاشي ، وكانت هذه بعد البعثة بخمس سنين ، قاله البيهقي .

٢ – الهجرة الثانية : من مكة إلى المدينة ، وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة ، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأطلق جماعة : أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة ، وهذا ليس على إطلاقه ، فإنه لا خصوصية للمدينة ، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

قال ابن العربي : قسم العلماء – رضي الله عنهم – الذهاب في الأرض هرباً وطلباً ، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام :

الأول : الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهي باقية إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح في قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا هجرة بعد الفتح »(١) ، هي القصد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث كان .

الثاني : الخروج من أهل البدعة ، قال ابن القاسم : سمعت مالكاً يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف .

الثالث : الخروج من أرض يغلب عليها الحرام ، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

الرابع : الفرار من الأذية في البدن ، وذلك من فضل الله تعالى أرخص فيه ، فإذا خشي على نفسه في مكان ، فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه ، والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور .

---

(١) رواه الشيخان .

وأول من فعل ذلك إبراهيم – عليه السلام – حين خاف من قومه ، فقال : (إني مهاجر إلى ربي)(١) ، وقال تعالى مخبراً عن موسى – عليه السلام – : « فخرج منها خائفاً يترقب »(٢) .

الخامس : الخروج خوف المرض من البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة ، وقد أذن – صلى الله عليه وسلم – للعرنيين في ذلك ، حين استوخموا المدينة أن يهاجروا إلى المرج .

السادس : الخروج خوفاً من الأذية في المال ، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه .

وأما قسم الطلب فإنه ينقسم إلى عشرة : طلب دين وطلب دنيا ، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع :

الأول : سفر العبرة ، قال الله تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم(٣) » . وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها .

الثاني : سفر الحج « ليشهدوا منافع لهم » .

الثالث : سفر الجهاد « وجاهدوا في الله حق جهاده » .

الرابع : سفر المعاش « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » .

الخامس : سفر التجارة والكسب الزائد على القوت ، وهو جائز لقوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »(٤) .

السادس : طلب العلم ، لقوله – صلى الله عليه وسلم – : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢٦ .
(٢) سورة القصص : الآية ٢١ .
(٣) سورة الروم : الآية .
(٤) سورة الحجرات : الآية ١٩٨ .

السابع : قصد البقاع الشريفة ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد »(١) .

الثامن : قصد الثغور للرباط بها ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

التاسع : زيارة الإخوان في الله تعالى . قال – صلى الله عليه وسلم – : « زار رجل أخاً له في قرية ، فأرسل الله ملكاً على مدرجته ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . فقال : هل له عليك من نعمة تؤديها ؟ قال : لا إلا أنني أحبه في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته » . رواه مسلم وغيره .

٣ – هجرة القبائل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليتعلموا الشرائع ، ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم .

٤ – هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم يرجع إلى قومه .

٥ – الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر ، قال الماوردي : فإن صار له بها أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر ، لأن المكان الذي هو فيه قد صار دار إسلام .

٦ – هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة بغير سبب شرعي ، وهي مكروهة في الثلاثة ، وفيما زاد حرام إلا لضرورة .

وحكي أن رجلا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات :

يا سيدي عندك لي مظلمة ... فاستفت فيها ابن أبي خيثمة
فإنه يرويه عن جده ... ما قد روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى ... نبينا المبعوث بالمرحمة
إن صدود الإلف عن إلفه ... فوق ثلاث ربنا حرمه

---

(١) رواه الشيخان .

٧ ـ هجرة الزوج لزوجته إذا تحقق نشوزها ، قال تعالى : « واهجروهن في المضاجع(١) ، ومن ذلك هجرة أهل المعاصي في المكان والكلام وجواب السلام وابتداؤه .

٨ ـ هجرة ما نهى الله عنه ، وهي أعم الهجر . قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » : نيّة وقصداً . فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً « ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها .. إلخ » ، نقلوا أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة هجرة ، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى : أم قيس فسمي مهاجر أم قيس . فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا ؟ . قيل في الجواب : إنه لم يخرج في الظاهر لها ، وإنما خرج في الظاهر للهجرة ، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم ، وقيس بذلك من خرج في الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة ، وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية .

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فهجرته إلى ما هاجر إليه » : يقتضي أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغي حمل الحديث على ما إذا كان المحرك والباعث له على الحج إنما هو التجارة ، فإن كان الباعث له الحج فله الثواب والتجارة تبع له ، إلا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج ، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب ، لأن هجرته لم تتمخض للدنيا ، ويحتمل خلافه ، لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا ، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد ، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

مقاصد الحديث

١ ـ لا تصح الأعمال إلا بالنيات .

٢ ـ المؤمن يؤجر على حسب نيته .

٣ ـ من كانت أعماله خالصة لله فمقبولة .

٤ ـ مَن كانت أعماله رئاء الناس فلا تقبل .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ الأُمور بمقاصدها .

٢ ـ الإنسان يعطى على نيته ما لا يعطى على عمله .

٣ ـ الأعمال مرتبطة بالنيّات .

٤ ـ المميز بين العبادة والعادة هي النيّة والمعول عليها .

٥ ـ إن نيّة المؤمن تبلغ إلى حيث يبلغ العمل وقد يدرك أجر العمل بالنية وهو لم يعمل كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وسلم عن رجال تخلفوا بالنية أنهم كانوا معهم في الغزو وثباتهم وإنما حبسهم العذر .

الحديث الثاني

قواعد الاسلام

عَنْ عُمَرَ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَيْضاً قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَس إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتِهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلاَمِ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الْإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَال : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟! قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ

---

(١) ذكرت ترجمته .

تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَها ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءِ الشَّاءِ ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ يَا عُمَرُ : أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

متعلقات الحديث الثانى

هذا الحديث الشريف هو أصل من أصول الإسلام يتضمن أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة وأركان الإخلاص لله وحده لا شريك له والساعة وأشراطها وآداب ولطائف كثيرة ، وتسمية الإيمان والإسلام والإحسان كلها دين ، والله أعلم .

المفردات :

الأَمارات : جمع أَمارة وهي العلامة .

الأَمَة : المملوكة .

ربتها : سيدتها .

العالة : جمع عائل وهو الفقير من عال ، افتقر .

رعـاء : جمع راع .

الشاء : الضأن والماعز ، والواحدة شاة كالغنم واحدتها غنمة .

يتطاولون في البنيان : يتباهون ويتفاخرون بارتفاعه .

مليـاً : وقتاً غير قصير .

جبريل : الملك الذي خصصه الله للرسالة .

شرح المـؤلف

قوله قال : (فأخبرني عن الإيمان) : الإيمان في اللغة هو مطلق التصديق وفي الشرع عبارة عن تصديق خاص ، وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات ، وهو الانقياد إلى عمل الظاهر ، وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما ذكر في الحديث ، قال الله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »(١) ، وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون وبقلوبهم ينكرون ، فلما ادّعوا الإيمان كذّبهم الله تعالى في دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب ، وصدّقهم في دعوى الإسلام لتعاطيهم إيّاه .

وقال الله تعالى : « إذا جاءك المنافقون ، قالوا نشهد أنك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون »(٢) ، أي في دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم ، لأن ألسنتهم لم تواطئ قلوبهم ، وشرط الشهادة بالرسالة أن يواطئ اللسان القلب ، فلما كذبوا في دعواهم بيّن الله تعالى كذبهم .

---

(١) الحجرات : الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

ولما كان الإيمان شرطاً في صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين ، قال الله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين »(١) ، فهذا استثناء متصل لما بين الشروط من من الاتصال ، ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيماناً ، قال الله تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم »(٢) . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان »(٣) : أي الصلاة .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » بفتح الدال وسكونها لغتان ، ومذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدّر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده في سابق علمه ، وفي أمكنة معلومة وهي تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى .

واعلم أن التقادير أربعة :

(الأول) : التقدير في العلم ولهذا قيل : العناية قبل الولاية والسعادة قبل الولادة واللواحق مبنية على السوابق ، قال الله تعالى : « يؤفك عنه من أفك »(٤) ، أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عنه في القدم ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يهلك الله إلا هالكاً » ، أي من كتب في سابق علم الله تعالى أنه هالك .

(الثاني) : التقدير في اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير ، قال الله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »(٥) .

وعن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – أنه كان يقول في دعائه : (اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً) .

---

(١) الذاريات : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
(٣) الشورى : الآية ٢٥ .
(٤) سورة الذاريات : الآية ٩ .
(٥) سورة الرعد : الآية ٣٩ .

(الثالث) : التقدير في الرحم ، وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزق الجنين وأجله وشقي أو سعيد .

(الرابع) : التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت والله تعالى خلق الخير والشر وقدّر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة ، والدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى : « إن المجرمين في ضلال وسعر ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، إنا كل شيء خلقناه بقدر »(١) .

نزلت هذه الآية في القدرية ، يقال لهم ذلك في جهنم ، وقال تعالى : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق » ، وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه ، وفي الحديث « أن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة » ، وفي الحديث : « أن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ، ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل » ، وزعمت القدرية أن الله تعالى لم يقدر الأشياء في القدم ولا سبق علمه بها وأنها مستأنفة ، وأنه تعالى إنما يعلمها بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى ، جل عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً ، وهؤلاء انقرضوا وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون : الخير من الله والشر من غيره ، تعالى الله عن قولهم .

وصح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « القدرية مجوس هذه الأمّة »(٢) ، سماهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس ، وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة ، فصاروا ثنوية ، كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره ، وهو تعالى خالق الخير والشر .

قال إمام الحرمين في كتاب الإرشاد : إن بعض القدرية تقول : لسنا بقدرية ، بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر ، ورد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ، ومن يدعي الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه .

---

(١) سورة القمر : الآيات ٤٧ - ٤٩ . (٢) رواه أبو داود .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فأخبرني عن الإحسان ، قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وهذا مقام المشاهدة ، لأنه إذا قدر أنه يشاهد المالك استحى أن يلتفت إلى غيره في الصلاة ، وأن يشغل قلبه بغيره ، ومقام الإحسان مقام الصديقين ، وقد تقدم في الحديث الأول الإشارة إلى ذلك .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فإنه يراك » غافلا إن غفلت في الصلاة وحدثت النفس فيها .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فأخبرني عن الساعة فقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » ، هذا الجواب على أنه – صلى الله عليه وسلم – كان لا يعلم متى الساعة ؟ ، بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به . قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة »(١) . وقال تعالى : « هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون »(٢) . وقال تعالى : « وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً »(٣) .

وقوله تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيّان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة »(٤). ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقي منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخي في أسباب التنزيل عن بعض المنجمين وأهل الحساب ، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوّف على الغيب ولا يجوز اعتقاده .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمَة ربتها » الأمار والأمارة بإثبات التاء وحذفها لغتان ، وروي ربها وربتها ، قال الأكثرون هذا إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها سيدها من بمنزلة سيدها ، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقيل : معناه الإماء يلدن

---

(١) سورة لقمان : الآية ٣٤ .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٦٦ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٦٣ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .

الملوك فتكون أمّة من جملة رعيته ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن الشخص يستولد الجارية ولداً ويبيعها فيكبر الولد ويشتري أمه وهذا من أشرط الساعة .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » ، إذ العالة هم : الفقراء والعائل الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة ، أي افتقر . والرعاء بكسر الراء وبالمد ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد معناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يترقون في البنيان والدنيا تبسط لهم حتى يتباهوا في البنيان ،

قوله : « فلبث ملياً » هو بفتح الثاء على أنه للغائب ، وقيل : فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح . وملياً بتشديد الياء معناه : وقتاً طويلا . وفي رواية أبي داود والترمذي أنه قال : بعد ثلاثة أيام .

وفي شرح التنبيه للبغوي أنه قال : بعد ثلاثة فأكثر ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال . وفي ظاهر هذا مخالفة لقول أبي هريرة في حديثه : ثم أدبر الرجل فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ردوا علي الرجل ، فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً ، فقال – صلى الله عليه وسلم – هذا جبريل » ، فيمكن الجمع بينهما بأن عمر – رضي الله عنه – لم يحضر قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – الحاضرين في الحال ، وأخبروا عمر بعد ثلاث ، إذ لم يكن حاضراً عند إخبار الباقين . وفي قوله : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » فيه دليل على أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً . وفي الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب ، وعلى ترك الخوض في الأمور ، وعلى وجوب الرضا بالقضاء .

دخل رجل على ابن حنبل – رضي الله عنه – فقال : عظني ؟ فقال له : إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخَلَفُ على الله حقاً فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر

ونكبر حقاً فالإنس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟.

(فائدة) : ذكر صاحب مقامات العلماء أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسماً ، خمسة بالقضاء والقدر وخمسة بالاجتهاد وخمسة منها بالعادة وخمسة بالجوهر وخمسة بالوراثة . فأما الخمسة التي فيها بالقضاء والقدر : فالرزق والولد والأهل والسلطان والعمر ، والخمسة التي بالاجتهاد : فالجنة والنار والعفة والفروسية والكتابة ، والخمسة التي بالعادة : فالأكل والنوم والمشي والنكاح والتغوط ، والخمسة التي بالجوهر : فالزهد والذكاء والبذل والجمال والهيبة ، والخمسة التي بالوراثة : فالخير والتواصل والسخاء والصدق والأمانة .

وهذا كله لا ينافي قوله – صلى الله عليه وسلم – : « كل شيء بقضاء وقدر »(١) .

وإنما معناه : أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب ، وبعضها يكون بغير سبب والجميع بقضاء الله وقدره .

مقاصد الحديث

١ – الإسلام :

١ – أن تشهد أن الله هو الواحد الأحد وأن محمداً رسول الله

٢ – أن تؤدي الصلاة أداءً كاملا .

٣ – أن تعطي الفقراء حقوقهم .

٤ – أن تصوم رمضان صياماً خالصاً لوجه الله .

---

(١) رواه الشيخان .

٥ ـ أن تقصد البيت الحرام لأداء فريضة الحج عندما تستطيع ذلك وتتوفر الشروط .

٢ ـ الإيمـان :

١ ـ الاعتقاد الجازم بوجود الله .

٢ ـ أن تعتقد أن الله قد خلق خلقاً من النور يسمون الملائكة .

٣ ـ أن تعتقد أن الله قد أنزل كتباً سماوية بواسطة الرسل .

٤ ـ أن الله قد اصطفى من عباده بشراً هم رسله إلى خلقه .

٥ ـ أن الله سيحيي الناس يوم يحاسبون فيه وكل يجازى بما عمل .

٦ ـ أن تجزم أن الله قدّر الأُمور كلها فكل شيء بقضاء الله وقدره .

٣ ـ الإحـسان :

١ ـ أداءُ العبادة على وجهها الأكمل أداءً خالياً من الرياء ، وذلك بمراقبة مولاك كأنك تشاهد الله ، وإذا لم تكن كذلك فاعلم أن الله يراك .

٤ ـ الإخبار عن تحديد زمن يوم القيامة ، وأنه لا يعلمه إلا الله .

٥ ـ علامات قيام الساعة والتفكر فيما وقع منها :

(أ) كثرة عقوق الأولاد لأمهاتهم باغتصاب السراري وشرائها بدون حق .

(ب) أن يملك الرعاة الضعاف أهل الحضر والتفكر الأعراب رعاة الأغنام كيف تطاولوا في بناء القصور وتمادوا في التجارات والمقاولات .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ على الإنسان أن يعتني بتنظيف ثيابه وتجميل هيئته .

٢ ـ على القادم أن يستأذن المجتمعين ويسلم عليهم .

٣ ـ ينبغي للسائل أن يتحلى بالشجاعة الأدبية وإيضاح السؤال للاستفادة .

٤ ـ على السائل أن يسأل عن أصول الدين ومعالم الإسلام .

٥ ـ يجب على المسؤول أن يسمح لسائله إذا سأله عما لا يعلم ويجبه بلطف .

٦ ـ يجب على المسؤول أن يكون متواضعاً .

٧ ـ إذا جهل المسؤول شيئاً فلا عيب عليه أن يقول : لا أدري .

٨ ـ تعليم الآخرين عن طريق سؤال أهل الذكر .

٩ ـ الملائكة تتمثل بصورة الإنسان لتعليم النـــاس أمور دينهم .

١٠ـ الدين يشتمل على وظائف العبادات الظاهرة والباطنة .

الحديث الثالث

في دعائم الاســـلام

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ترجمة الراوى

أسلم عبد الله بمكة مع أبيه وهو صغير ، وهاجر معه إلى المدينة ، وكان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهّادهم ، حج ستين واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة وحمل على ألف فرس في سبيل الله وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها ومناقبه كثيرة . وهو معدود من المكثرين من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال فيه ابن مسعود : إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا هو عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه .

مقـــدمة الحديث :

هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده وقد جمع أركان الإسلام في لفظ بليغ وجيز وبعبارة واضحة جليّة .

اللغـــة : الإســـلام :

الانقياد والخضوع لله تعالى في طاعته .

الشهـــادة :

قول صادر عن علم حاصل بمشاهدة بصراً وبصيرة .

الصـــلاة :

في الأصل : الدعاء وهي أقوال وأفعال مبتدئة بالتكبير ومنتهية بالتسليم ، مع استكمال شروطها وأركانها .

إقامتهـــا :

تقويمها بالخشوع فيها والتفكير في معانيها وتذكر من أقيمت له فهي من أقام العود إذا قوّمه .

الزكاة في الأصل :

مصدر زكا الزرع يزكو إذا نما وكثر .

وفي الشـــرع :

أطلقت على ما يخرجه الإنسان من ماله حقاً لله تعالى ليصرف لذوي الحاجات أو للأصناف الثمانية أو من توفّر منهم .

الصـــوم :

لغة الإمساك والمراد به ترك الطعام والشراب والجماع من الفجر إلى غروب الشمس .

الحـــج :

لغة : القصد ، وفي الشرع : قصد بيت الله الحرام للنسك، والحج عرفه كما أخبر به الصادق المصدوق .

الشـــرح :

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « بني الإسلام على خمس » ، أي فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه . كما أن البيت يتم أركانه كذلك الإسلام يتم

بأركانه وهي خمس وهذا بناء معنوي شبه بالحسي ، ووجه الشبه أن البناء الحسي إذا انهدم بعض أركانه لم يتم ، فكذلك البناء المعنوي .

ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين »(١) ، وكذلك يقاس عليه بقية الأركان .

ومما قيل في البناء المعنوي :

تبنى الأمور بأهل الدِّين ما صلحوا ... وإن تولّوا فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناسُ فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وقد ضرب الله مثلا للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى : « أفمن أسّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم »(٢) شبه بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه على وسط طود ، أي جبل راسخ ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هادر لا ثبات له فأكلها البحر فانهار الجرف ، فانهار بنيانه فوقع به في البحر فغرق فدخل جهنم .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « بني الإسلام على خمس » ، أي بخمس على أن تكون على : بمعنى الباء وإلا فالمبني غير المبني عليه ، فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام وهو فاسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى من ، كقوله تعالى : « إلا على أزواجهم » ، أي من أزواجهم ، والخمسة المذكورة في الحديث أصول البناء ، وأما التتمات والمكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات ، فهي زينة للبناء ، وقد ورد في الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاه قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »(٣) .

---

(١) رواه البيهقي عن ابن عمر .
(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .
(٣) متفق عليه .

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وحج البيت وصوم رمضان » هكذا جاء في هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم ، وهذا من باب الترتيب في الذكر دون الحكم ، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج ، وقد جاء في الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج .

مقاصد الحديث

١ ـ معرفة أن للإسلام أركان :

أولهما الشهادتان .

٢ ـ العلم بأن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام .

٣ ـ معرفة الركن الثالث وهي الزكاة ، وأنها مقرونه بالصلاة .

٤ ـ معرفة أن حج بيت الله الحرام من أجل أركان الإسلام وأنها تجب على المستطيع أن يحج مرة واحدة .

٥ ـ صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام .

ما يستنبط من الحديث

١ – تشبيه الرسول المعنويات بالمحسوسات .

٢ – المطلوب إقامة الصلاة لا الصلاة فقط .

٣ – هذا الحديث يكتفي بفرضية الزكاة فقط .

٤ – هذا الحديث يكتفي بفرضية الحج دون العمرة .

٥ – هذا الحديث يكتفي بفرضية صيام رمضان فقط .

٦ – لا يدل نص الحديث على أن أركان الإسلام هي هذه الخمس فقط .

الحديث الرابع

احـوال الانســان

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ وأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سعِيدٌ ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ترجمة الصحابي عبدالله بن مسعود

أسلم بمكة قديماً ويقال سادس من أسلم وسبب إسلامه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرّ به وهو يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فقال له : يا غلام ،

هل عندك من لبن تسقينا ؟ قال : نعم ولكني مؤتمن . قال : هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحـــل . قال : نعم فأتاه بها فمســـح النبي – صلى الله عليه وسلم – ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن فحلب في إناء أتاه به أبو بكر وشرب وسقى أبا بكر – رضي الله عنه – ثم قال للضرع : أَقْلُصْ فقَلَص ، أي رجع كما كان لا لبن فيه ، فلما رأى ذلك أسلم – رضي الله عنه – .

وكان – رضي الله عنه – صاحب سر المصطفى وكان – رضي الله عنه – يقول : والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ، ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته ، روي له ثمانمائة حديث وثمان وأربعون حديثاً ، ومات بالمدينة سنة ٣٣ هـ عن بضع وستين سنة ودفن بالبقيع .

مقـــدمة الحديث

هذا الحديث عظيم جامع لجميع أحوال الإنسان ، إذ فيه حال مبدئه وهو خلقه وحال معاده وهو السعادة أو الشقاء وما بينهما وهو الأجل وما يتصرف فيه وهو الرزق .

معنى مفردات الحديث الرابع

الصادق المصدوق : أي الصادق في قوله والمصدوق فيما قال .

يجمع خلقه : أي من المائين الدافقين بين الذكر والأُنثى .

نطفـــة : أي قليلا جامداً من المائين .

وعلقـــة : هو الدم الغليظ الممزوج بشيء من اللحم .

مضغة : وهي اللحمة التي تماسكت ، وسميت مضغة ، أي لأنها بقدر ما تمضغ في الفم .

الملك : وهو الموكل بهذا الشأن عند خلق بني آدم .

وبينها إلاَّ ذراع : تقدير تقريبي للذهن ولا يقصد به حقيقة المقدار .

فيسبق عليه الكتاب : أي السابق من علم الله تعالى .

الشـــرح :

قول عبد الله بن مسعود : « وهو الصادق المصدوق » ، أي شهد الله له بأنه الصادق ، والمصدوق بمعنى المصدق فيه . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « يجمع خلقه في بطن أمه » يحتمل أن يراد أنه يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منها الولد ، كما قال الله تعالى : « خلق من ماء دافق »(١) الآية ، ويحتمل أن المراد أنه يجمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل : إن النطفة في الطور الأول تسري في جسد المرأة أربعين يوماً ، وهي أيام التوحمة ، ثم بعد ذلك يجمع ويدر عليها من تربة المولود فتصير علقة ، ثم يستمر في الطور الثاني ، فيأخذ في الكبر حتى تصير مضغة ، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التي تمضغ ، ثم في الطور الثالث يصور الله تلك المضغة ويشق فيها السّمع والبصر والشم والفم ويصور في داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى : « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء(٢) الآية ، ثم إذا تم الطور الثالث وهو أربعون صار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح ، قال الله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب »(٣) ، يعني :

---

(١) سورة الطارق : الآية ٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦ .

(٣) سورة الحج : الآية ٥ .

أباكم آدم « ثم من نطفة » يعني ذريته ، والنطفة : المني وأصلها الماء القليل وجمعها : نطاف « ثم من علقة » وهو الدم الغليظ المتجمد وتلك النطفة تصير دماً غليظاً « ثم من مضغة » وهي لحمة (مخلقة وغير مخلقة) .

قال ابن عباس : مخلقة : أي تامة ، وغير مخلقة : أي غير تامة ، بل ناقصة الخلق .

وقال مجاهد : مصورة وغير مصورة ، يعني السقط .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – : (إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أي رب مخلقة أو غير مخلقة ، فإن قال : غير مخلقة قذفها في الرحم دماً ولم تكن نسمة ، وإن قال : مخلقة قال الملك : أي رب أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ما الرزق وما الأجل وبأي أرض تموت ؟ ، فيقال له : اذهب إلى أم الكتاب ، فإنك تجد فيها كل ذلك ، فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي إلى آخر صفته ، ولهذا قيل : (السعادة قبل الولادة) .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فيسبق عليه الكتاب » : أي الذي سبق في العلم ، أو الذي سبق في اللوح المحفوظ ، أو الذي سبق في بطن الأم ، وقد تقدم أن المقادير أربعة . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع » هو تمثيل وتقريب ، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان ، فإن الكافر إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم مات دخل الجنة ، والمسلم إذا تكلم في آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

وفي الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار . وان عمل سائر أنواع البر ، أو عمل سائر أنواع الفسق ، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به ، لأنه لا يدري ما الخاتمة . وينبغي لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ، ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر

العاقبة ، فإن قيل : قال الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »(١) ، ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل ، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة .

فالجواب من وجهين : أحدهما أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسن الخاتمة ، ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير وأن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل المشوب بنوع من الرياء والسمعة يدل عليه الحديث . الآخر : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس » ، أي فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها ، والله أعلم .

وفي الحديث دليل على استحباب الحلف لتأكيد الأمر في النفوس ، وقد أقسم الله تعالى : « فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون »(٢) وقال الله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم »(٣) والله تعالى أعلم .

مقاصد الحديث

١ ـ حفظ مادة خلق الإنسان في رحم أمه أربعين يوماً .

٢ ـ يصير الجنين بعد ذلك قطعة دم غليظ أربعين يوماً .

٣ ـ يكون الجنين بعد ذلك قطعة لحم صغيرة أربعين يوماً .

٤ ـ يرسل إليه الملك فيدخل فيه الروح .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٣٠ .
(٢) سورة الذاريات : الآية ٢٣ .
(٣) سورة التغابن : الآية ٧ .

٥ ـ يؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .

٦ ـ قد يعمل إنسان عمل أهل الجنة فيكفر قبل موته فيدخل النار .

٧ ـ قد يعمل إنسان عمل أهل النار فيؤمن قبل موته فيدخل الجنة .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ أن الرسول لا ينطق إلا عن حقيقة وعلم ويقين .

٢ ـ يقدر على الإنسان الشقاوة أو السعادة قبل الولادة .

٣ ـ أنه لا يجوز للإنسان أن يقطع بدخول الجنة أو النار.

٤ ـ الأعمال بالخواتيم فيجب على المسلم أن يسأل الله حسن الختام .

٥ ـ يستحب الحلف لتأكيد الأمر في النفوس إذا كان محقاً في الأمر .

الحديث الخامس

النهـى عـن البـدع

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وفي رِوَايَة لِمُسْلِمٍ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

ترجمة الراوى

هي الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ وكنيت بأم المؤمنين ، لأنها من أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت من أحب نسائه إليه بعد خديجة ـ رضي الله عنها ـ ولم يتزوج ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكراً غير عائشة ، وكانت ـ رضي الله عنها ـ صوّامة قوّامة صاحبة كرم وزهد وفقه وعلم وحفظ وفصاحة .

قال أبو موسى الأشعري : (ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً) .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجميع النساء ، كان علم عائشة أكثر ، وقد ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأنها : « خذوا شطر دينكم من عائشة » ، روي لها ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث ، وهي أحد المكثرين من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماتت وعمرها ست وستون سنة ، ودفنت بالبقيع ـ رضي الله عنها ـ .

المقـــدمة :

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ومن جوامع حكمه – صلى الله عليه وسلم – وفيه التحذير من البدع واتباع أقوال الجماعة المخالفة لما عليه أهل السنة والسلف الصالح .

شرح المفردات :

١ – أحدث : أي وضع زيادة بدون دليل .

٢ – فهو رد : أي مردود عليه لأنها بدعة .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » : أي مردود عليه فيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها ، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك .

وقال – صلى الله عليه وسلم – للذي قال له : « إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته ، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فقال – صلى الله عليه وسلم – الوليدة والغنم رد عليك » ، وفيه دليل على أن من ابتدع في الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه ، وعمله مردود عليه ، وأنه يستحق الوعيد ، وقد قال – صلى الله عليه وسلم – : « من أحدث حدثاً أو آذى محدثاً فعليه لعنة الله » .

مقاصـــد الحديث

١ – كل بدعة لا تستند إلى دليل شرعي ترد على وجـــه صاحبها .

٢ ـ التحذير من البدع المذمومة شرعاً .

٣ ـ الحث على الاهتمام بالدين .

٤ ـ كمال الدين وكونه لا يحتاج إلى زيادة لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم »[١] .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ أن المحدث في أمور الدين يعد معتدياً على أوامر الله ورسوله .

٢ ـ لا يؤخذ بقول المحدث في أمور الدين كائناً من كان بل أمره مردود عليه .

٣ ـ إذا وجدت من يعمل بخلاف الواجب أو الوارد يجب أن تبين عمله أن هذا العمل محدث وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

الحديث السادس

ترك الشبهات

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .

ترجمة الراوي

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك الأنصاري

ولد على رأس أربعة عشراً من الهجرة وحملته أمّه إلى المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فطلب تمرة فمضغها ، ثم وضعها في فمه وهو أول مولود للأنصار بعد قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة ، فقد تحمل الحديث وهو صغير ورواه بعد بلوغه وولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص ، وكان من أخطب الناس في الفصاحة .

روي له مائة حديث وأربعة عشر حديثاً ، وقتل غيلة وهو ابن أربع وستين سنة .

مقـــدمة الحديث

هـذا الحديث الشريف قاعدة من أعظم قواعد الدين الحنيف ، لأنه يحتوي على علوم الشريعة ، ففيه الحلال واجتناب الحرام والإمساك عن الشبهات وأيضاً الاهتمام بشؤون القلب .

الشـــرح :

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات . . إلخ » اختلف العلماء في حد الحلال والحرام ، فقال أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ : الحلال ما دل الدليل على حله . وقال الشافعي ــ رضي الله عنه ــ : الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وبينهما أمور مشتبهات » ، أي بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة . وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك ، بل ولا يستحب ، ويكره السؤال عنه .

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ، أي طلب براءة دينه وسلم من الشبهة . وأما براءة العرض ، فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم في الإثم ، وقد ورد عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم »(١) . وعن علي ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : (إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فربّ سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً) .

---

(١) قول عائشة نقلته عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي صحيح الترمذي أنه – عليه الصلاة والسلام – قال : « إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف » ، وذلك لئلا يقال عنه : أحدث . قوله – عليه الصلاة والسلام – : « فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام » ، يحتمل أمرين : أحدهما : أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام .

والثاني : أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام ، كما يقال : « المعاصي بريد الكفر » ، لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرّجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها ، قيل : وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : « ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١) ، يريد أنهم تدرّجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء .

وفي الحديث : « لعن الله السارق يسرق بيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »(٢) ، أي يتدرّج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة . والحمى ما يحميه الغير من الحشيش في الأرض المباحة ، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير ، بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً عن الحمى .

واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به ، فالفرج محرم وحماه الفخذان ، لأنهما جعلا حريماً للمحرم ، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم ، فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرّم ، فالمحرم حرام لعينه ، والحريم محرم ، لأنه يتدرّج به إلى المحرم ، قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ألا وإن في الجسد مضغة » ، أي في جسد الإنسان مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح ، وإذا طمحت طمحت الجوارح ، وإذا فسدت فسدت الجوارح ، قال العلماء : البدن مملكة والنفس مدينتها ، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدام والقوى الباطنية كضياع المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح به ، والشهوة طالب أرزاق الخدام ، والغضب صاحب الشرطة ، وهو عبد مكار خبيث يتمثل

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٢ . (٢) رواه الشيخان .

بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح ، والقوة المخيلة في مقدم الدماغ كالخازن ، والقوة المفكرة في وسط الدماغ ، والقوة الحافظة في آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس الخمس جواسيس ، وقد وكّل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات، فوكلت العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها ، فإنها أصحاب الأخبار ، ثم قيل : هي كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه .

وقيل : إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس ، فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسد الراعي فسدت الرعية ، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة ، كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرّياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضا بالمقدور ، وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين ، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتي الله بقلب سليم .

مقاصد الحديث

١ ـ الحلال واضح بيّن .

٢ ـ الحرام واضح .

٣ ـ بيْن الحلال والحرام أمور متشابهات لا بد أن تعلمها أو تجتهد في معرفتها .

٤ ـ من يقع في الشبهات جدير بأن يقع في الحرام .

٥ ـ إذا صلح القلب صلح الجسد فعليك بإصلاحه .

٦ ـ إذا فسد القلب فسد الجسد ، واحذر من اتباع الهوى والشيطان فإن بهما يحصل الفساد في القلب .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ طلب التحرر مما يتوهم منه .

٢ ـ اجتناب الصغائر لأنها تجر إلى الكبائر .

٣ ـ الاقتراب من الشبهات يوصل إلى فعل الحرام .

٤ ـ بندب ضرب الامثال فهم المفهوم ، وبالمثال يتضح الاشكال .

٥ ـ الاهتمام بالقلب فعليه صلاح الجسد .

٦ ـ أكل الحلال ينوّر القلب فتصلح الجوارح .

٧ ـ أكل الحرام يظلم القلب فتفسد الجوارح .

٨ ـ التقوى ترك بعض المباحات خوفاً من الوقوع في الحرام .

٩ ـ تعظيم القلب والسعي فيما يصلحه ، وعليك بذكر الله والمحافظة على طاعة الله .

الحديث السابع

النصيحـــة

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمَ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْه – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

ترجمـــة الراوي

أسلم تميم بن أوس الداري – رضي الله عنه – سنة تسع من الهجرة ، وكان من مشاهير الصحابة وأفاضلهم ، وغزا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان صاحب دين وقيام وقراءة ، كان يختم القرآن في ركعة وربما يردد الآية الواحدة ليتذكر ثواب الله أو عقابه .

انتقل تميم من المدينة إلى الشام ، بعد قتل عثمان – رضي الله عنه – وسكن بيت المقدس ومات سنة أربعين ودفن ببيت جبريل (قرية من قرى الخليل) روي له ثمانية عشر حديثاً عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

المقـــدمة :

هذا الحديث ألفاظه قليلة وفوائده كثيرة ، بل إن أحكام الإسلام داخلة تحته ، بل تحت كلمة منه وهي ولكتابه إذ هو مشتمل على الدين كله أصلا وفرعاً وعملا واعتقاداً .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « الدين النصيحة » ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ ، قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . قال الخطابي :

النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ، وقيل : النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، فشبّهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل : إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفّيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

قال العلماء : أما النصيحة لله تعالى فمعناها : ينصرف إلى الإيمان بالله ونفي الشرك عنه وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه – سبحانه وتعالى – عن جميع أنواع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، ومودة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والإخلاص في جميع الأمور ، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها ، والتلطف بجميع الناس أو من أمكن منهم عليها ، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، والله تعالى غني عن نصح الناصحين .

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الناس ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرّض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته .

وأما النصيحة لرسوله – صلى الله عليه وسلم – : فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر سنته ، ونفي التهم عنها ونشر علومها ، والتفقّه فيها ، والدعاء لها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند

قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرّض لأحد من أصحابه ونحو ذلك .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم ، قال الخطابي : (ومن النصيحة لهم ، الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح) .

قال ابن بطال — رحمه الله تعالى — : في هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً ، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ، قال : والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين . قال : النصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فإن خشي أذى فهو في سعة والله تعالى أعلم .

فإن قيل : ففي صحيح البخاري أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : « إذا استنصح أحدكم أخـــاه فلينصح له » وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقاً ، ومفهوم حجة الشرط في تخصيص عموم المنطوق .

فجوابه : يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية كنكاح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك ، والأول يحتمل بعمومه في الأمور الدينية التي هي واجبة على كل مسلم ، والله تعالى أعلم .

مقاصـد الحديث

١ ـ الدين الإسلامي قائم على التناصح .

٢ ـ النصيحة لله فيما يلزم في حقه سبحانه وتعالى ، وما ينتفي في حقه .

٣ ـ النصيحة لكتابه : الإيمان به والعمل بما فيه .

٤ ـ النصيحة لرسوله : التصديق في جميع ما جاء به ، والتزام طاعته .

٥ ـ النصيحة لأئمة المسلمين : معاونتهم على الحق وامتثال أمرهم في غير معصية .

٦ ـ النصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم وحبك لهم ما تحب لنفسك .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ لا دين لمن لا نصيحة له .

٢ ـ دين الإسلام يلزم صاحبه أن يكون ناصحاً .

٣ ـ الإفادة المجملة تفتقر إلى استيضاح .

٤ ـ جاء الجواب شاملاً لجميع النواحي المطلوبة .

الحديث الثامن

حرمة المسلم

عَنِ ابْنِ عُمَرَ[1] - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى »، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

مقدمة الحديث :

هذا حديث عظيم مشتمل على مهمات قواعد الدين : الإسلام ، الصلاة ، الزكاة ، بلفظ بليغ وجيز حكيم ، ولا غرو فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُعطي جوامع الكلم .

الشرح :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أُمِرْتُ . . إلخ » فيه دليل على أن مطلق الأمر بصيغته تدل على الوجوب . قوله - صلى الله عليه وسلم - : « فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم » ، فإن قيل : فالصوم من أركان الإسلام وكذلك الحج ولم يذكرها .

فجوابه : إن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه ، بل يحبس ويمنع الطعام والشراب ، والحج على التراخي فلا يقاتل عليه ، وإنما ذكر رسول الله - صلى

---

(١) تقدمت ترجمته .

الله عليه وسلم – هذه الثلاثة . لأنه يقاتل على تركها . ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ ، حين بعثه إلى اليمن ، بل ذكر هذه الثلاثة خاصة .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « إلا بحق الإسلام » . فمن حق الإسلام فعل الواجبات ، فمن ترك الواجبات جاز قتله . كالبغاة وقطاع الطريق والصائل والمانع للزكاة والممتنع من بذله الماء للمضطر والبهيمة المحترمة والجاني والممتنع عن قضاء الدين مع القدرة ، والزاني المحصن وتارك الجمعة والوضوء . ففي تلك الأحوال يباح قتله وقتاله ، وكذلك لو ترك الجماعة . وقلنا : إنها فرض عين أو كفاية .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وحسابهم على الله » . يعني من أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، عصم دمه وماله . ثم كان فعل ذلك بنيّة خالصة صالحة فهو مؤمن . وإن كان فعله تقية وخوفاً من السيف كالمنافق فحسابه على الله وهو متولي السرائر . وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة أو أكل في بيته وادعى أنه صائم يقبل منه وحسابه على الله – عز وجل – والله أعلم .

مقاصد الحديث

١ – إعلان الحرب على الذين أشركوا حتى يسلموا .

٢ – جواز قتل من أنكر الصلاة .

٣ – حرب مانعي الزكاة .

٤ – لا يجوز التعدي على أموال ودماء المسلمين إلا بحق الإسلام .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ لنا الظاهر والله يتولى السرائر .

٢ ـ يجوز قتل المسلم إذا عمل عملا يقتضي القتل .

٣ ـ لا يجوز قتـــل المسلم على ترك الزكاة أو الحج ، بل يستتاب أولا ، فإن تاب وإلا قتل .

الحديث التاسع

لا تكليف الا بقدر الاستطاعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ترجمة الراوى

إسمه عبد الرحمن بن صخر ، قدم المدينة سنة سبع والرسول بخيبر ، فسار إليه وأسلم على يديه ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم ، فلذا كان أكثر الصحابة رواية ، روي عنه خمسة آلاف وثلثمائة حديث وأربعة وسبعون ، وقيل : إن عمر - رضي الله عنه - استعمله على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى وناب عن الإمارة ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي سنة سبع وخمسين في آخر خلافة معاوية وله من العمر ثمان وسبعون سنة ودفن بالبقيع .

المقدمة :

هذا الحديث من جوامع حكمه - عليه الصلاة والسلام - وقاعدة عظيمة من قواعد الدين الحنيف ، وفيه إشارة إلى وجوب اتباعه - صلى الله عليه وسلم - وتسليم ما جاء به من الأحكام من غير معارضة ولا مبالغة ولا تنطع .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه » ، أي اجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئاً منه ، وهذا محمول على نهي التحريم ، فأما نهي الكراهة فيجوز فعله ، وأصل النهي في اللغة : المنع . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » فيه مسائل منها : إذا وجد ماء للوضوء لا يكفيه فالأظهر وجوب استعماله ، ثم يتيمم للباقي . ومنها : إذا وجد بعض الصاع في الفطرة ، فإنه يجب إخراجه . ومنها : إذا وجد بعض ما يكفي لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة ، فإنه يجب بذله . وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة ، فإنه لا يجب عتقه عن الكفارة ، لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم عن أنبيائهم » .

إعلم أن السؤال على أقسام :

القسم الأول : سؤال الجاهل عن فرائض الدين . كالوضوء والصلاة والصوم وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك ، وهذا السؤال واجب وعليه حمل قوله – صلى الله عليه وسلم – : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »(١) ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك . بدليل قول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »(٢) ، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (إني أعطيت لساناً سئولا وقلباً عقولا) ، كذلك أخبر عن نفسه – رضي الله عنه – .

والقسم الثاني : السؤال عن التفقه في الدين لا العمل وحده ، مثل : القضاء والفتوى ، وهذا فرض كفاية ، لقوله سبحانه وتعالى : « فلولا نفر

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان . (٢) سورة النحل : الآية ٤٣ .

من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين »(١) الآية . وقال – صلى الله عليه وسلم – : « ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب »(٢) .

القسم الثالث : أن يسأل عن شيء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره وعلى هذا حمل الحديث . لأنه قد يكون في السؤال ترتب مشقة بسبب تكليف يحصل ، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : « وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها » . وعن عليّ – رضي الله عنه – لما نزلت « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا »(٣) ، قال رجل : أكُل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « وما يوشك أن أقول : نعم ، والله لو قلت : نعم لوجبت ، لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه » ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم »(٤) ، أي لم آمركم بالعمل بها ، وهذا النهي خاص بزمانه صلى الله عليه وسلم .

أما بعد أن استقرت الشريعة وأمن من الزيادة فيها زال النهي بزوال سببه ، وكره جماعة من السلف السؤال عن معاني الآيات المشتبهة .

سئل مالك – رحمه الله تعالى – عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (٥)، فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأراك رجل سوء أخرجوه عني . وقال بعضهم : مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم ، من قال بهذا القول يعتبر جهله أكثر من علمه وما أظن أن عالماً حقيقياً يرجح علم المتأخرين على علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، وهذا هو علم السلف .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٢ .
(٢) قطعة من حديث رواه الشيخان .
(٣) سورة آل عمران : الآية ٩٨ .
(٤) سورة المائدة : الآية ١٠١ .
(٥) سورة طه : الآية ٥ .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ اجتناب ما نهى عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ امتثال أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدر الاستطاعة .

٣ ـ النهي عن كثرة السؤال لغير حاجة .

٤ ـ الإخبار بأن الذين أهلكوا ، إنما هو بسبب احتجاجاتهم الباطلة على أنبيائهم .

مقاصد الحديث

١ ـ الامتثال لا يحصل إلا بترك جميع المنهيات .

٢ ـ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها في حدود فرائض الله .

٣ ـ لا يسقط الميسور بالمعسور ، وقد رفع الحرج عن هذه الأُمة والله تعالى يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

٤ ـ المشقة تجلب التيسير بدليل قول الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » .

٥ ـ ينبغي للمسلم اتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أوامره ونواهيه .

الحديث العاشر

أكل الحـــلال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً » . وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يَا رَبِّ .. يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

المقـــدمة :

هذا الحديث من الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام ، ففيه تصريح بمنع إجابة دعاء العاصي بالكلية ، بل يجوز أن يجيبه الله تعالى ، تكرماً منه وتفضلا ، بل قد يستجيب دعاء الكافر إذا شاء .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « إن الله تعالى طيب » ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي

(١) تقدمت ترجمته .

إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت » ، ومعنى الطيب : المنزه عن النقائص والخبائث فيكون بمعنى القدوس ، وقيل : طيب الثنا ومستلذ الأسماء عند العارفين بها : وهو طيب عباده لدخول الجنة بالأعمال الصالحة وطيبها لهم . والكلمة الطيبة : لا إله إلا الله .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يقبل إلا طيباً » . أي فلا يتقرب إليه بصدقة حرام ويكره التصدق بالرديء من الطعام . كالحب العتيق المسوّس . وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة ، قال الله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون »(١) ، فكما أنه تعالى لا يقبل من المال إلا الطيب ، كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « يا أيها الرسل كلوا من طيبات واعملوا صالحاً »(٢) . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم »(٣) المراد بالطيبات : الحلال . في الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوى على الطاعة أو إحياء نفسه ، وذلك من الواجبات ، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم .

قوله : « مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام » . أي شبع . وهو بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة من الغذى بالكسر والقصر . وأما الغذاء بالفتح والمد والدال المهملة : فهو عبارة عن نفس الطعام الذي يؤكل في الغذاء ، قال الله تعالى : « قال لفتاه آتنا غداءنا »(٤) . قوله : « فأنى يستجاب له » أي استبعاداً لقبول إجابة الدعاء ولهذا شرط العبادي لقبول الدعاء أكل الحلال ، والصحيح أن ذلك ليس بشرط ، فقد استجاب لشر خلقه إبليس ، فقال : « إنك من المنظرين » ولله تعالى شأن في استجابة دعاء من عصاه وقد يريد بذلك الاستدراج له .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .
(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥١ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .
(٤) سورة الكهف : الآية ٦٢ .

مقاصد الحديث

١ - لا يقبل الله من عباده إلا الصالح الطيب من العمل ولذلك خصه الرسول .

٢ - أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين تكريماً لعباده المؤمنين .

٣ - لا يستجيب دعاء آكل الحرام إذا كان ذلك عن قصد مع مجاوزة الحد .

٤ - إذا أكثر العبد الدعاء وابتهل إلى ربه فعليه أن يذكر طبيعة مطعمه وملبسه ومسكنه ويحاول أن يكون من حلال ليستجيب الله دعاءه

ما يستنبط من الحديث

١ - الطيب ما طيبه الشارع ، وكان حلالا في شرع الإسلام .

٢ - يثاب العبد إذا أكل طيباً ، وقصد به القوة على الطاعة .

٣ - دعاءُ المسافر مستجاب إذا كان سفره لقصد طاعة أو عبادة أو لكسب معيشة .

٤ - دعاءُ المنكسر قلبه مستجاب وخصوصاً إذا نادى ربه بخشوع وخضوع وانكسار .

٥ - استغراب الرسول لدعائه إذا كان متصفاً بالصفات المذكورة وذلك لبعده عن ربه .

الحديث الحادي عشر

الورع

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طالِب ، سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » . رَوَاهُ التِّرْمُذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَقَالَ التِّرْمُذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ترجمة الراوي

هو الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو ابن فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – ولد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وهو أكبر من أخيه الحسين بعام ، حج خمساً وعشرين مرة وتولى الخلافة بعد أبيه واستمر في الخلافة نحو ستة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان ، ثم دعاه كرمه وحلمه وورعه إلى تركها لمعاوية ، رفقاً بالمسلمين ، روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ثلاثة عشر حديثاً ومات – رضي الله عنه – مسموماً سنة خمسين من الهجرة .

المقدمة :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين ، وقد استوعب كل ما قيل في تجنب الشبهات .

الشرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » فيه دليل على أن المتقي ينبغي له أن لا يأكل المال الذي فيه شبهة ، كما يحرم عليه

أكل الحرام وقد تقدم قوله : « إلى ما لايريبك » ، أي اعدل إلى ما لا ريب فيه من الطعام الذي يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس ، والريبة : الشك ، وتقدم الكلام على الشبهة .

مقاصد الحديث

١ - على المرء أن يبني أموره على اليقين .

٢ - عليه أن يترك ما يظن أن فيه شك ليسلم من مقاربة الحرام أو المخالفة .

ما يستنبط من الحديث

١ - دع الشك وخذ باليقين .

٢ - لا يزول اليقين بالشك .

٣ - يسن الخروج عن اختلاف العلماء أخذاً بالأحوط .

٤ - الحث على الورع في سجايا المؤمن .

الحديث الثاني عشر

لا تتدخل فيما لا يعنيك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع حكمه عليه الصلاة والسلام .

الشـــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » أي ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي ذر حين سأله عن صحف إبراهيم ، قال : كانت أمثالا كلها ، كان فيها : أيها السلطان المغرور إني لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ، ولو كانت من كافر .

وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى ، وساعة يحدّث فيها نفسه ، وساعة يخلو بذي الجلال والإكرام ، وإن تلك الساعة عون له على تلك المصالح العظيمة .

---

(١) تقدمت ترجمته .

وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن لا يكون ساعياً إلا في ثلاث : تزوّد لمعاد . ومؤنة لمعاش . ولذة في غير محرم .

وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون بصيراً بزمانه . حافظاً للسانه . ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعنيه .

قلت : بأبي وأمي . فما كان في صحف موسى ؟ قال : كانت عبراً كلها . كان فيها : عجباً لمن أيقن بالنار ، كيف يضحك ، وعجباً لمن أيقن بالموت ، كيف يفرح . وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها . وعجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب . وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل ؟ .

قلت : بأبي وأمي . هل بقي مما كان في صحفهما شيء ؟ ، قال : نعم يا أبا ذر : « قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ، إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى » .

قلت : بأبي وأمي أوصني . قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس أمرك كله ، قال : قلت زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن ، واذكر الله كثيراً ، فإنه يذكرك في السماء . قلت : زدني ، قال : عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية المؤمنين ، قلت : زدني ، قال : عليك بالصمت ، فإنه مطردة للشياطين عنك وعون لك على أمر دينك ، قلت : زدني ، قال : قل الحق ولو كان مراً ، قلت : زدني ، قال : لا تأخذك في الله لومة لائم ، قلت : زدني ، قال : صل رحمك وإن قطعوك ، قلت : زدني ، قال : بحسب امريء من الشر ما يجهل من نفسه ويتكلف ما لا يعنيه ، يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ولا حسن كحسن الخلق »(١) .

---

(١) رواه أبو حيان في صحيحه .

مقاصد الحديث

١ ـ من كمال إسلام المرء تركه ما لا تتعلق عنايته به .

٢ ـ لا تبحث في أسرار الناس فإن كل انسانٍ حريص على كتمان حاجته .

٣ ـ يكون كل اهتمامك في شئون نفسك وفيما تستفيد منه دنيا وأخرى .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ عدم التدخل فيما لا يعني الإنسان في الكلام وغيره .

٢ ـ يعرف حسن إسلام المسلم بتركه ما لا يعنيه .

٣ ـ استحضر قول الرسول : « استعينوا على حوائجكم بالكتمان .

الحديث الثالث عشر

المحبـــة

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بن مالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ترجمة الراوي ـ أنس بن مالك

لما قدم رسول الله المدينة ذهبت أم أنس إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعها ولدها أنس ، فقالت : يا رسول الله ، خذ هذا غلاماً يخدمك فقبله وكان عمره حينئذ عشر سنين ، واستمر في خدمته إلى أن توفي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عنه راض ، وكان يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دماً وكان إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم ، وغزا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمان غزوات وأقام بالمدينة وشهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها سنة ثلاث وتسعين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، روي له ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون حديثاً وهو أحد المكثرين في الحديث ، وقد دعى له الرسول بالبركة في رزقه وولده ، فحقق الله ذلك فما مات ـ رضي الله عنه ـ وكان يتبعه من أولاده ثمان وتسعون من أولاده وأولاد أولاده ، وأما رزقـــه فكانت السحابة تمطر على حدائق أنس أحياناً ولا تمطر على غيرها من الحدائق .

المقـــدمة :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام والمقصود منه المساواة التي بها تحصل المحبة وتدوم الألفة بين الناس وتنتظم أحوالهم .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . الأولى : أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم ، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه ، من دخوله في الإسلام ، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام ، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً ، والحديث يدل على نفي الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة .

ثم إن المراد بالمحبة الدينية لا المحبة البشرية ، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها ، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه ، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً .

والحسد كما قال الغزالي : ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه .

الثاني : أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل له كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها وهذا أشر من الأول .

الثالث : أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ، ولكن يكره ارتفاعه عليه في الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة وهذا أيضاً محرم . لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى . قال الله تعالى : « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم »(١) الآية . فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى في قسمته وحكمته ، وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضى بالقضاء ويخالفها لعدوه بما يخالف النفس .

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٣٢ .

مقاصد الحديث

١ ـ لا يكمل إيمان المرء حتى يتمنى لأخيه نظير ما يتمنى لنفسه .

٢ ـ ليس من المطلوب أن تطلب لأخيك النعمة التي أنعم الله بها عليك ، بل المطلوب أن تتمنى له مثلها .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ حب الإنسان الخير لأخيه المسلم كما يحبه لنفسه .

٢ ـ بغض الشر لأخيه المسلم كما يبغضه لنفسه .

٣ ـ الدفاع عن المسلم في مجال الدفاع إن كان عن نفسه أو عرضه أو ماله .

الحديث الرابع عشر

متى يهـدر دم المسلم

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[1] ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا يَحِـلُّ دَمُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

المقـدمة :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الحنيف الذي يقرر حفظ نفس المسلم من الهلاك إلا عندما يرتكب جريمة الزنا والقتل والردة بأسلوب رادع وزاجر .

المفـردات :

الثيّب الزاني : المراد هنا بالمحصن ، من تزوج وقارب زوجته في نكاح صحيح .

الشـرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الثيّب الزاني » ، المراد : من تزوج ووطئ في نكاح صحيح ثم زنا بعد ذلك ، فإنه يرجم ، وإن لم يكن متزوجاً في حالة الزنا لاتصافه بالإحصان . قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والنفس بالنفس » ، أي بشرط المكافأة فلا يقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد عند

---

(١) تقدمت ترجمته في حديث أحوال الإنسان .

الشافعية لا الحنفية . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « والتارك لدينه المفارق للجماعة » ، وهو المرتد – والعياذ بالله تعالى – وقد يكون مرافقاً للجماعة ، كاليهودي إذا تنصر ، وبالعكس يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة ، وفيه قولان : أصحهما لا يقتل ، بل يلحق بالمأمن . والثاني : يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذي كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك ، وهو غير الحق فلا يترك ، بل إن لم يسلم يقتل ، وقد تقدم القتل أيضاً في صورة سبق الكلام عليها .

مقاصد الحديث

١ – لا يجوز إهدار دماء المسلمين إلا بإحدي ثلاث : زنى المحصن ، وقتل النفس ، والتارك لدينه .

٢ – التأكيد بالتثبت من أن يكون قد تزوج ولكن لم يطئ أو لم توطأ .

٣ – النفس بالنفس إذا قتل شخص شخصاً آخر ، يقتل به أو مثله .

٤ – التارك لجماعة المسلمين والمجاهر بردته .

ما يستنبط من الحديث

١ – حفظ الأعراض والأنساب من التلوث .

٢ – حفظ النفس من الاعتداء عليها .

٣ – حفظ الدين من التبديل والانحراف .

٤ – اعتصام المسلم بدينه عن الزيغ والارتداد .

الحديث الخامس عشر

آداب عالية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمِتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم تتفرع منه آداب الخير وقيل فيه : أنه نصف الإسلام ، لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق وهذا أفاد الثاني ، إذ المقصود منه أن من كان كامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله تعالى ، قولا بالخير أو سكوتاً عن الشر أو فعلا لما ينفع أو تركاً لما يضر .

الشرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ : معنى الحديث : إذا أراد أن يتكلم فليفكر ، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم ، وإن ظهر أن فيه ضرراً أو شك فيه أمسك .

---

(١) تقدمت ترجمته .

وقال الإمام الجليل أبو محمد بن أبي زيد ، إمام المالكية بالمغرب في زمنه : جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث :

قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « للذي اختصر له الوصية : لا تغضب »

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ونقل عن أبي القاسم القشيري – رحمه الله تعالى – أنه قال : السكوت في وقته صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال .

قال : وسمعت أبا عليّ الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس ، وكذا نقله في حلية العلماء عن غير واحد . وفي حلية الأولياء : أن الإنسان ينبغي له أن لا يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه ، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه . وقال : لو كنتم تشترون اللفظة لسكتم عن كثير من الكلام .

وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ومن فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه » ، وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « العافية في عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله تعالى – عز وجل – » ويقال : من سكت فسلم كمن قال فغنم ، وقيل لبعضهم : لم لزمت السكوت ؟ قال : لأني لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مراراً .

ومما قيل في هذا المعنى :

ولإن ندمت على سكوتك مرة فلقد ندمت على الكلام مراراً

ومما قيل : جرح اللسان كجرح اليد . وقيل : اللسان كلب عقور إن خلي عنه عقر . وروي عن عليّ – رضي الله عنه – :

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْلِ
فعثرته من فيه تأتي بحتفه ... وعثرته بالرِّجل تبرى على مهل

ومما قيل :

قد أفلح الساكت الصموتُ ... كلامه قد يعدّ قوت
ما كل نطق له جواب ... جواب ما يكره السكوت

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ، قال القاضي عياض : معنى الحديث : أن من التزم شرائع الإسلام لزم إكرام الضيف والجار ، وقد قال – صلى الله عليه وسلم – : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(١) .

وقال : – ورد فيما قيل – : « من آذى جاره ملكه الله داره »(٢) .

وقوله تعالى : « والجار ذي القربى والجار الجنب » ، الجار يقع على أربعة : الساكن معك في البيت .

قال الشاعر :

أجارتنا بالبيت انك طالق

ويقع على من لاصق لبيتك ويقع على أربعين داراً من كل جانب ، ويقع على من يسكن معك في البلد ، قال الله تعالى: « ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا »(٤) فالجار الملاصق القريب المسلم له ثلاثة حقوق ، والجار البعيد المسلم له حقان ، وغير القريب المسلم له حق واحد ، والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) قيل أنه حديث ولفظه يدل على ضعفه .
(٣) سورة النساء : الآية ٣٦ .
(٤) سورة الأحزاب .

والصالحين ، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة ، وقال بعضهم : ثلاث ليال ، واختلفوا : هل الضيافة على الحاضر والبادي ؟ أم على البادي خاصة ؟ ، فذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادي . وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل البوادي ، لأن المسافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواضع النزول ، وما يشترى من الأسواق ، وقد جاء في حديث « الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر » لكنه حديث موضوع(١) .

مقاصد الحديث

١ ـ سمات الإيمان :

(أ) التحدث بالخير أو الصمت .

(ب) إكرام الجار وإكرام الضيف .

٢ ـ قل خيراً حتى تسلم أو اسكت حتى تغنم .

٣ ـ أحسن إلى جارك تكن مؤمناً .

٤ ـ إقراءُ الضيف من شيم الكرام وواجب أن يتصف به المؤمن ليبعد الشح عن نفسه .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ التفكر قبل التكلم .

٢ ـ يستحسن النطق في موضعه .

---

(١) قال أحد المحققين : لعله مثل وليس بحديث .

٣ ـ يستحسن السكوت في وقته .

٤ ـ لا يجوز السكوت عن الحق والساكت عنه شيطان أخرس .

٥ ـ عدم التكلم فيما لا يعني ويجدر بمن يتكلم فيما لا يعنيه أن يسمع ما لا يرضيه .

٦ ـ الاهتمام بشؤون الجار في كل المراحل .

٧ ـ إكرام الجار غير المسلم وأن يكون أميناً على ماله وعرضه .

٨ ـ لا ينبغي إيذاء الجار ، ولا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه : أي غدره .

٩ ـ من صفات المؤمن البشر في وجه الضيف ، وقد قيل:

بشاشة وجه المرء خير من القرى

فكيف بمن يأتي القرى وهو باسم

١٠ـ الكلام الطيب مع الضيف، والتحدث معه بما يناسب المقام بدون نفاق .

١١ـ خدمة الضيف، ولا يخدم الضيف إلا من رفع الله قدره ووفقه للخير .

الحديث السادس عشر

الغضـــب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٢] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي ، قَالَ : لَا تَغْضَبْ ، فَرَدَّدَ مِرَاراً ، قَالَ : لَا تَغْضَبْ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

المقـــدمة :

هذا الحديث من جوامع كلمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه جمع بين خيري الدنيا والآخرة .

المفـــردات :

الغضب : هو ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه إلى الشخص .

الشـــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تغضب » : معناه لا تنفذ غضبك ، وليس النهي راجعاً إلى نفس الغضب ، لأنه من طباع البشر ولا يمكن للإنسان دفعه ، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إياكم والغضب فإنه جمرة تتوقّد في فؤاد ابن آدم ، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، وإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضجع أو ليلصق بالأرض »(١) .

وجاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ، علمني علماً يقرّبني من الجنة ويبعدني عن النار . قال : لا تغضب ولك الجنة »(٢).

---

(١) تقدمت ترجمته .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح .

وقال – صلى الله عليه وسلم – : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفىء النار الماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ »(١) . وقال أبو ذر الغفاري : قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضجع »(٢) ، وقال عيسى – عليه الصلاة والسلام – لـيحيى بن زكريا – عليه الصلاة والسلام – : « إني معلمك علماً نافعاً : لا تغضب ، فقال : وكيف لي أن لا أغضب ؟ قال : أذا قيل لك ما فيك ، فقل : ذنب ذكرته أستغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك ، فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيّرت به وهي حسنة سيقت إليك » . وقال عمرو بن العاص : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عما يبعدني عن غضب الله تعالى قال : « لاتغضب » ، وقال لقمان لابنه : إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه فإن أنصفك وهو مغضب وإلا فاحذره .

مقاصد الحديث

١ – طلب الوصية والنصيحة من الأفضل .

٢ – التكرار في طلب النصيحة والتعليم قصد العمل به .

٣ – إعادة الجواب إذا كان الجواب كلمة جامعة ليتذكر فوائد هذه الكلمة .

٤ – الغضب من أسوأ طبائع الانسان وتحته شرور كثيرة .

٥ – عليك بالحلم فإنه من تطبع به على مقامه ظفر بكل خير .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود .

ما يستنبط من الحديث

١ - أخفى إسم الرجل لكون الأمر قد تكرر أو أنه لم يعرف اسمه في الأول .

٢ - كرر السائل هذا الطلب لعله يحصل إلى فائدة أخرى ولم يتأمل ما تحت هذه الكلمة .

٣ - كان الجواب بعد كل طلب نفس الجواب الأول ، للاهتمام بذلك والحرص على الابتعاد عن هذا الطبع المشين .

الحديث السابع عشر

الاحســـــان

عَنْ أَبِي يَعْلِي شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ : « إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

ترجمة الراوي - شداد بن أوس

كان - رضي الله عنه - جامعاً بين العلم والحكمة ، وكان إذا دخل الفراش لينام يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول : اللهم إن النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم ، ثم يقوم فيصلي من الليل أو ما شاء الله أن يصلي .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وهو من قواعد الدين ، من عمل به نال كل خير وسلم من كل شر ، وناهيك فضلا في الرأفـــة والإحسان أن الرســـول - صلى الله عليه وسلم - أوصانا بها حتى في حالة الذبح للحيوان .

الشـــرح :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » من جملة الإحسان عند قتل المسلم في القصاص أن يتفقد آلة القصاص ولا يقتل بآلة كالة ، وكذلك يحد الشفرة عند الذبح ، ويريح البهيمة ؛ ولا يقطع منها شيئاً حتى تموت ، ولا يحد السكين قبالتها ، وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح

ولا يذبح اللبون ، أي ذات اللبن ، وأن لا يستقصي في الحلب ويقلم أظافره عند الحلب ، قالوا : ولا يذبح واحدة قدّام أخرى .

وهذه المخالفة سائدة وكثيرة لدى الناس والواجب علينا أن نتأدب بآداب الإسلام ونتمثل أمر سيد الأنام .

مقاصد الحديث

١ - طلب الإحسان من كل مكلف .

(أ) الإحسان في القتل إلا أن يكون القاتل الأول قد عذب في حالة قتله ، فلصاحب القصاص أن يماثل في القتل .

(ب) الإحسان في الذبح رأفة بالحيوان وقد صح أن الحيوان إذا خوف قبل ذبحه يذهب جزء من قوته .

ما يستنبط من الحديث

١ - الشريعة تطلب الإحسان إلى كل مخلوق .

٢ - الرفق بالحيوان من هدي الإسلام .

٣ - الحلم والعفو والتواضع والصفح مستنبط من هذا الحديث .

الحديث الثامن عشر

آداب اســـــلامية

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » . رَوَاهُ التِّرْمُذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ترجمـــة الراويين

أبو ذر جندب بن جنادة ، هو من السابقين الأولين وأسلم على يده أخوه أنيس ، ولمّا قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة أسلم بقيتهم ، وكان – رضي الله عنه – من أزهد الناس ، وكان – رضي الله عنه – من أوعية العلم وشهد له المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بأنه أكثر الناس لهجة بذكر الله ، ونزل – رضي الله عنه – بالربذة منزل الحاج العراقي على ثلاث مراحل من المدينة ، وكان موته سنة إحدى وثلاثين هجري وروي له مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً .

أما معاذ بن جبل ، فهو الصحابي الجليل الذي اختاره الرسول ليكون نائباً عنه في أهل اليمن ، وقد حبذ – عليه الصلاة والسلام – اجتهاده فيما لم يقف فيه على دليل واضح من الكتاب والسنة ، وقال له : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى عنه .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين الحنيف ، وقد اشتمل على ثلاثة أشياء : حق الله وحق المكلف وحق العباد ، فأما حق الله تعالى : فحيثما كنت فاتقه ، وأما حق المكلف : فهو اتباع السيئة بحسنة ، وأما حق العباد : فهو معاشرتهم بالأخلاق الحسنة .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « اتق الله حيثما كنت » ، أي اتقه في الخلوة كما تتقيه بحضرة الناس ، واتقه في سائر الأمكنة والأزمنة . ومما يعين على التقوى استحضار أن الله تعالى مطلع على العبد في سائر أحواله ، قال الله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم »(١) الآية ، والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » ، أي إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل بعدها حسنة تمحها .

واعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة وإن كانت الحسنة بعشر وأن التضعيف لا يمحو السيئة ، وليس هذا على ظاهره ، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات ، وقد ورد في الحديث ما يشهد لذلك ، وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – : « تكبرون دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتسبحون عشراً ، فذلك مائة وخمسون باللسان وألف وخمسمائة في الميزان » ، ثم قال – صلى الله عليه وسلم – : « أيكم يفعل في اليوم الواحد ألفاً وخمسمائة سيئة »(٢) ، دل على أن التضعيف يمحو السيئات وظاهر الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقاً ، وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله تعالى ، أما السيئة المتعلقة بحق العباد من الغضب والغيبة والنميمة فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، ولا بد أن يعين له جهة الظلامة ، فيقول : قلت

---

(١) سورة المجادلة : الآية ٧ .
(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

عليك كيت وكيت . وفي الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا »(١) ، وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد »(٢) .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وخالق الناس بخلق حسن » ، إعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وإلى كف الأذى عنهم ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها ببسط الوجه وحسن الخلق »(٣) ، وعنه – صلى الله عليه وسلم – : « خيركم أحسنكم أخلاقاً »(٤) ، وعنه – صلى الله عليه وسلم – : « أن رجلا أتاه فقال : يا رسول الله ما أفضل الأعمال ؟ ، قال : حسن الخلق »(٥) وهو على ما مرّ أن لا تغضب .

ويقال : اشتكى نبي إلى ربه سوء خلق امرأته ، فأوحى الله إليه : قد جعلت ذلك حظك من الأذى . وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وخيارهم ، خيارهم لنسائهم »(٦) ، وعنه – صلى الله عليه وسلم – : « إن الله اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسخاء، فانه لا يكمل الا بهما »(٧) وقال جبريل – عليه السلام – للنبي – صلى الله عليه وسلم – حين نزل قوله تعالى : « خذ العفو » . . الآية ، قال في تفسير ذلك : « أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك » . وقال الله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن »(٨) الآية . وقيل في تفسير قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم »(٩) ، قال : كان خلقه القرآن ، يأتمر بأمره وينزجر بزواجره ويرضى ويسخط لسخطه – صلى الله عليه وسلم – .

---

(١) ورد من قول عمر رضي الله عنه .
(٢) سورة الحشر : الآية ١٨ .
(٣) رواه أبو يعلى والبزار .
(٤) رواه ابن حبان .
(٥) رواه عبد الرزاق في كتابه .
(٦) رواه البيهقي .
(٧) رواه الطبراني في الأوسط .
(٨) سورة فصلت : الآية ٣٤ .
(٩) سورة ن : الآية ٤ .

مقاصد الحديث

١ ـ أن تجعل تقوى الله نصب عينيك في كل حركاتك وسكناتك.

٢ ـ فعل الطاعات واجتناب المنهيات في كل أعمالك.

٣ ـ الحسنات يذهبن السيئات وهو من عظيم فضل الله على هذه الأُمة.

٤ ـ معاشرة الناس بالأَخلاق الحسنة.

٥ ـ تدل هذه الفقرة من الحديث على وجوب المعاشرة بالأَخلاق الفاضلة حتى مع المسيء إذا أمكن.

ما يستنبط من الحديث

١ ـ تقوى الله واجبة على كل إنسان.

٢ ـ ملازمة التقوى على كل حال.

٣ ـ للتقوى آثار عظيمة في إصلاح النفس.

٤ ـ الإسراع بفعل الطاعات بعد السيئات مباشرة رغبة في محوها، قال الله تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات»

٥ ـ ينبغي للمسلم أن يتحلى بالأَخلاق الحسنة.

٦ ـ المعاملة الطيبة تزيل أثر المعاملة السيئة وتحدث الوئام والوفاق.

الحديث التاسع عشر

عنـــاية الله

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما – قَالَ : « كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْماً ، فَقَالَ لِي : يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : إِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، إِحْفَظِ اللهَ تَجِـدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ترجمـــة الراوي

ولد – رضي الله عنه – قبل الهجرة بثلاث سنين ولقب بترجمان القرآن ، وكان يسمى : البحر لغزارة علمه ، وصح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا له بقوله : « اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل » ، روي له ألف وستمائة حديث وستون حديثاً ، وهو أحد المكثرين – رضي الله عنه – وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفيـــة وقال : مات والله اليوم خير هذه الأمـــة ، ودفن بالطائف بجانب المسجد ، ومسجده مشهور ومعروف وقد زيد فيه في عهد الدولة السعودية زيادة عظيمة وحجز القبر عن المسجد رغبة في تطبيق الوارد .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه في لفظ ظاهر بيّن سهل بسيط .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « احفظ الله يحفظك » ، أي احفظ أوامره وامتثلها ، وانته عن نواهيه ، يحفظك في تقلباتك ودنياك وآخرتك . قال الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة »(١) وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب فهو بسبب تضييع أوامر الله تعالى . قال الله تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم »(٢) .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « تجده تجاهك » ، أي أمامك ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « تعرف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشدّة » ، وقد نص الله تعالى في كتابه : أن العمل الصالح ينفع في الشدة وينجّي فاعله ، وأن العمل السيىء يؤدي بصاحبه إلى الشدة، قال الله تعالى حكاية عن يونس – عليه الصلاة والسلام – : « فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون »(٣) .

ولما قال فرعون : « آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل » ، قال له الملك : « الآن ، وقد عصيت قبـــل وكنت من المفســـدين »(٤) ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « إذا سألت فاسأل الله » ، إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله ، بل يتوكل عليه في سائر أموره ،

ثم إن كانت الحاجة التي يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدي خلقه ، كطلب الهداية والعلم والفهم في القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، سأل ربه ذلك ، وإن كانت الحاجة التي يسألها

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ . (٢) سورة الشورى : الآية ٣٠ .
(٣) سورة الصافات : الآية ١٤٢-١٤٣ . (٤) سورة يونس : الآية ٩١ .

جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه ، كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور ، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول : اللهم أحنن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق ، لأنه – صلى الله عليه وسلم – سمع علياً يقول : (اللهم أغننا عن خلقك) ، فقال : « لا تقل هكذا ، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك » .

وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم . ويروى عن الله تعالى في الكتب المنزلة : أيقرع بالحوائج باب غيري وبابي مفتوح ؟ أم هل يؤمل للشدائد سواي وأنا الملك القادر ؟ لأكسون من أمل غيري ثوب المذلة بين الناس . . إلخ .

قوله : « واعلم أن الأمة . . إلخ » ، لما كان الإنسان قد يطمع في بر من يحبه ، ويخاف شر من يحذره قطع الله اليأس من نفي الخلق بقوله : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله »(١) ، ولا ينافي هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى – عليه الصلاة والسلام – : « فأخاف أن يقتلون » ، وقوله تعالى : « إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى »(٢) ، وكذلك قوله : « خذوا حذركم »(٣) ، إلى غير ذلك ، بل السلامة بقدر الله والعطب بقدر الله ، والإنسان يفرّ من أسباب العطب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »(٤) .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « واعلم أن النصر مع الصبر » ، قال – صلى الله عليه وسلم – : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا ، فإن الله مع الصابرين » ، وكذلك الصبر على الأذى في موطن يعقبه النصر ، قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وإن الفرج

---

(١) سورة يونس : الآية ١٠٧ .
(٢) سورة طه : الآية ٤٥ .
(٣) سورة النساء : الآية ٧١ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

مع الكرب » والكرب هو شدة البلاء ، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج، كما قيل : « اشتدي أزمة تنفرجي » .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وإن مع العسر يسرا »(١) ، قد جاء في حديث آخر ، أنه – صلى الله عليه وسلم – قال : « لن يغلب عسر يسرين » ، وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين ، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت ، لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت ، فالعسر ذكر مرتين معرفاً ، واليسر مرتين منكراً فكان اثنين ، فلهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : « لن يغلب عسر يسرين »(٢) .

مقاصد الحديث

١ – مَن حافظ على أوامر الله حفظه الله في الدنيا والآخرة .

٢ – مَن امتثل أوامر الله أخرجه الله من الشدة .

٣ – مَن أراد أن يسأل فليسأل الله ولا يعتمد على أحد سواه .

٤ – أن بعد كل كرب فرجاً .

٥ – أن بعد كل عسر يسرى .

٦ – لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الحاكم مرسلا عن الحسن .

٧ ـ لتعلم أن الله قدّر الأشياء في الأزل وكل ميسر لما خلق له ، وأمر عباده بالعمل فقال : « وقل اعملوا فيسرى الله عملكم ورسوله » .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ ما من معصية تنزل بعبد إلا بما اقترفت يداه .

٢ ـ الأعمال الصالحة ترفع البلاء .

٣ ـ التوجّه إلى الله في كل حاجة من علامة حسن التوحيد لله .

٤ ـ على المؤمن أن يعتقد أن قضاء الله وقدره قد أبرم وعليه الاجتهاد لعمل الخير .

الحديث العشرون

الحيـــاء

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَـــةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصارِيِّ الْبَدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ترجمـــة الراوى

لم يشهد بدراً وإنما نسب إلى بدر ، لأنه سكنها ونزل الكوفة وابتنى بها داراً واستخلف عليها ، توفي بالمدينة سنة إحدى وأربعين وروي له مائة حديث وحديثان .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم عليه يدور مدار الإسلام وأصول الأخلاق بقول فصيح وجيز ويعد من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - .

الشـــرح :

قوله - صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ، معناه : إذا أردت فعل شيء ، فإن كان مما لا تستحي من فعله من الله ولا من الناس

فافعله ، وإلا فلا ، وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله ، وعلى هذا يكون قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فاصنع ما شئت » ، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحي من الله تعالى ولا تراقبه فأعط نفسك مناها وافعل ما تشاء فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة ويكون كقوله تعالى : اعملوا ما شئتم »(١)، وكقوله تعالى : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك »(٢).

(١) سورة فصلت : الآية ٤٠ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٦٤ .

مقاصـد الحديث

١ ـ إذا كنت لا تستحي من الله فافعل ما تشاءُ (الأمر للتهديد) .

٢ ـ يقصد بهذا القول اجتناب العمل المجاوز للعفة والحياء

٣ ـ إنك إذا تبعت شهواتك لن تفلح أبداً .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ إذا ترك المرءُ الحياء فلا تنتظرون منه خيراً .

٢ ـ الحياءُ كله خير وقد خاب وخسر من فقد الحياء .

٣ ـ الحياءُ أصل الأخلاق الكريمة .

٤ ـ ما أحسن ما قيل :

فلا والله ما في العيش خيـــر
ولا الدنيا إذا ذهب الحيـــاءُ
يعيش المـــرءُ ما استحيا بخير
ويبقى المجـــد ما بقي الحيـــاءُ

الحديث الحادي والعشرون

الاســـتقامة

عَنْ أَبِي عَمْرٍو ـ وَقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ ـ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ ، قَالَ : قُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

ترجمـــة الراوى

إكمـــال الترجمة

سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك بن خطيط بن جشم ، أبو عمرو الثقفي نسبة لثقيف ويقال له : الطائفي ، لأنه معدود من أهل الطائف ، استعمله عمر ـ رضي الله عنه ـ على صدقات الطائف ومروياته خمسة أحاديث ، أسلم مع الوفد ، وسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أمر يعتصم به فقال له : قل ربي الله ثم استقم ، استعمله عمر على صدقات الطائف ، وقال المديني : بأن سفياناً شهد حنيناً فقتل أخوه عثمان ، فاستقبل وقال لأبي سويد : لا خير في العيش بعده .

مقـــدمة الحديث :

هذا الحديث موقعه عظيم وهو من بديع جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جمع لهذا السائل في هاتين الخصلتين جميع معاني الإسلام والإيمان والطاعة .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « قل آمنت بالله ثم استقم » ، أي كما أمرت والاستقامة ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات ، قال الله تعالى : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك »(١) وقال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة »(٢) ، أي عند الموت تبشرهم بقوله تعالى : « ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » ، وفي التفسير : أنهم إذا بشروا بالجنة قالوا : وأولادنا ما يأكلون وما حالهم بعدنا ؟ فيقال لهم : « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة »(٣) ، أي نتولى أمرهم بعدكم فتقر بذلك أعينهم « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون »(٤) .

مقاصـــد الحديث

١ – الثبات على الإيمان بالقول والعمل .

٢ – الاستقامة على شرع الله والمحافظة على أوامره واجتناب نواهيه .

٣ – الحرص على ملازمة الطاعة والاستقامة لتختـــم بها حياتك .

---

(١) سورة هود : الآية ١١٢ .
(٢) سورة فصلت : الآية ٣٠ .
(٣) سورة فصلت : الآية ٣١ .
(٤) سورة فصلت : الآية ٣١ .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ الإيمان بالله يسبق الطاعات والله عند ظن عبده به .

٢ ـ الأعمال الصالحة تحافظ على الإيمان وترشد صاحبه إلى الفلاح .

٣ ـ لا بد من الإيمان والعمل الصالح والاستقامة عليها .

الحديث الثاني والعشرون

الاعمال الموجبة لدخول الجنة

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – : « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً ، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَمَعْنَى حَرَّمْتُ الْحَرَامَ : اجْتَنَبْتُهُ ، وَمَعْنَى أَحْلَلْتُ الْحَلَالَ : فَعَلْتُهُ مُعْتَقِداً حِلَّهُ .

ترجمة الراوى

جابر بن عبد الله الأنصاري

كان من أكابر الصحابة واستشهد والده عبد الله بغزوة أحد ، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لابنه جابر : « أي بني ألا أبشرك أن الله عز وجل – أحيا أباك ، فقال : تمن ، فقال : يارب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى ، قال : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون ، وكان على والده دين فاستغفر الله النبي – صلى الله عليه وسلم – لجابر – رضي الله عنه – في ليلة واحدة سبعاً وعشرين مرة في قضاء دين أبيه للتأكد من الترحم وعمي آخر عمره وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وسبعين عن أربع وتسعين سنة ، روي له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثاً ، وهو أحد المكثرين وهو آخر من مات بالمدينة المنورة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد أوصى بأن لا يصلي عليه الحجاج وصلي عليه إبان ابن عثمان وهو أميرها آنذاك .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم الموقع وعليه مدار الإسلام لجمعه بين المأثور به والمنهي عنه ، وذلك لأن الأفعال إما قلبية أو بدنية وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال أو ممنوع منه وهو الحرام ، فإذا أحل الشخص الحلال وحرّم الحرام فقد أتى بجميع وظائف الدين ودخل الجنة آمناً بإذن الله .

الشرح :

لمراجعة شرح الحديث قوله : « أرأيت . . إلخ »(١) ، معناه : أخبرني ، وقوله : « وأحللت الحلال » ، أي اعتقدته حلالا وفعلت منه الواجبات ، « وحرمت الحرام » ، أي اعتقدته حراماً ولم أفعله . وقوله : « نعم » ، أي تدخل الجنة .

مقاصد الحديث

١ ـ أداءُ الصلاة المكتوبة والمحافظة عليها مع استكمال شروطها .

٢ ـ صيام رمضان مع مراعاة حفظ الصوم عن الغيبة والنميمة .

٣ ـ إحلال الحلال والمراقبة التامة فيما يأخذه ويطعمه ويشربه ويلبسه .

٤ ـ اجتناب الحرام والابتعاد عن كل ما حرمه الله على المسلم .

٥ ـ الاستفهام عن مكانة من حقق ذلك وبشارة الرسول له .

---

(١) الرجل الذي سأل الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو النعمان بن قوقل الخزرجي، ويعني بذلك أنه قال للرسول – صلى الله عليه وسلم – ما ورد في الحديث .

ما يستنبط من الحديث

١ - الاهتمام بالصلاة والصوم .

٢ - العمل الصالح يكون سبباً لدخول الجنة .

٣ - اهتمام الصحابة بعمل يدخلهم الجنة .

٤ - أن المسلم إذا حافظ على أوامر الله المفروضة واجتنب ما حرم عليه استحق الجنة .

الحديث الثالث والعشرون

الاسراع فى الخيرات

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

ترجمة الراوى

أبي مالك الحارث بن عاصم ، وقيل : كعب بن عاصم لم يذكر محل ولادته ، الأشعري نسبة إلى قبيلة باليمن يقال لهم الأشعريون والصحيح أنه غير أبي موسى الأشعري المشهور ، لأن ذلك معروف بكنيته وهذا معروف باسمه ، سكن مصر ومات بالطاعون في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ثمان عشر ، وقال البخاري : له صحبة ، وقال إسماعيل بن أبي أويس : كنيته أبو مالك .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم قد اشتمل على مهمات قواعد الدين ، وواجبات الإسلام وفوائد الذكر ، وأجر الصدقة ومال الصبر ، وصولة القرآن الكريم .

الشـــرح :

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الطهور شطر الإيمان » ، فسر الغزالي الطهور بطهارة القلب من الغل والحسد والحقد وسائر أمراض القلب ، وذلك أن الإسلام الكامل إنما يتم بذلك ، فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر ، ومن طهر قلبه من بقية الأمراض كمل إيمانه ، ومن لم يطهر قلبه فقد نقص إيمانه ، قال بعضهم : ومن طهر قلبه وتوضأ واغتسل وصلى ، فقد دخل الصلاة بالطهارتين جميعاً ، ومن في دخل الصلاة بطهارة الأعضاء خاصة ، فقد دخل بإحدى الطهارتين ، والله سبحانه وتعالى لا ينظر إلا إلى طهارة القلب ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم »(١) .

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض » ، وهذا قد يشكل على الحديث الآخر ، وهو أن موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ قال لله : « يا رب دلني عمل يدخلني الجنة ؟ قال : يا موسى قل : لا إله إلا الله ، فقال موسى : يا رب كل عبادك يقولون ذلك ؟ ، فقال الله : يا موسى لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله » ، ومعلوم أن السموات والأرضين أوسع ما بين السماء والأرض ، وإذا كانت الحمد لله تملأ الميزان وزيادة لزم أن تكون الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، لأن الميزان أوسع مما بين السماء والأرض والحمد لله تملؤها ، والمراد : لو كان جسماً لملأ الميزان ، أو أن ثواب الحمد لله يملؤها .

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « والصلاة نور » ، أي ثوابها نور ، وفي الحديث : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »(٢) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « والصدقة برهان » ، أي دليل على صحة إيمان صاحبها وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه ، وذلك أن المنافق قد يصلي ولا تسهل عليه الصدقة غالباً ، قوله – صلى الله عليه وسلم – : « والصبر ضياء » ، أي الصبر المحبوب ، وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره الدنيا ، ومعناه : لا يزال صاحبه مستمراً على الصواب . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « كل الناس يغدوا فبائع نفسه » ، معناه : كل إنسان يسعى لنفسه ، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما (فيوبقها) ، أي يهلكها ، فإن قيل : المالك إذا أعتق بعض عبده سرى العتق إلى باقيه ، والله تعالى أعتق الربع الأول فلم يسر عليه وكذلك الباقي .

فالجواب : أن السراية قهرية ، والله تعالى لا تقع عليه الأشياء القهرية بخلاف غيره ، ولا يقع في حكمه – سبحانه – ما لا يريده ، قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلُونَ ويُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »(١) .

قال بعض العلماء : لم يقع بيع أشرف من هذا ، وذلك أن المشتري هو الله والبائع المؤمنون والمبيع الأنفس والثمن الجنة ، وفي الآية دليل على أن البائع يجبر أولا على تسليم السلعة قبل أن يقبض الثمن ، وأن المشتري لا يجبر أولا على تسليم الثمن ، وذلك أن الله تعالى أوجب على المؤمنين الجهاد حتى يقتلوا في سبيل الله ، فأوجب عليهم أن يسلموا الأنفس المبيعة ويأخذوا الجنة ، فإن قيل : كيف يشتري السيد من عبيده أنفسهم ، والأنفس ملك له ؟ ، قيل : كاتبهم ثم اشترى منهم ، والله تعالى أوجب عليهم الصلوات الخمس والصوم وغير ذلك ، فإذا أدوا ذلك فهم أحرار ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١١ .

مقاصـد الحديث

١ ـ وجوب التطهر والتنزه عن كل منهي عنه .

٢ ـ ثواب الحمد لله يملأ الميزان بالحسنات .

٣ ـ آثار الصلاة نور يظهر على المحافظ على الصلاة .

٤ ـ الصدقة دليل وبرهان على إيمان فاعلها ويورثه السخاء ويبعد عنه الشح .

٥ ـ الصبر بأنواعه خير ويوفّى صاحبه أجره بغير حساب .

٦ ـ مَن عمل بالقرآن فهو حجة له يشفع له يوم القيامة .

٧ ـ مَن لم يعمل بالقرآن فهو حجة عليه والمقصود بالعمل اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

٨ ـ **كل إنسان يسعى لنفسه وليس له إلا ما سعى وقدّم .**

(أ) مِنَ الناس مَنْ يبيع نفسه لله بطاعته فيعتقها من النار ويفوز بالجنة .

(ب) مِنَ الناس من يبيعها للهوى فيهلكها ويرجع بها إلى العقاب .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ على المؤمن أن يعتني بطهارة الباطن كاعتنائه بالظاهر .

٢ ـ توزن الأعمال يوم القيامة بميزان الحق والعدالة وتوفى كل نفس ما عملت .

٣ ـ الرغبة في الأعمال الصالحة المتيسرة كالتسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير .

٤ ـ لا بد للصلاة من أثر وهي العهد الذي بين المسلم والكافر .

٥ ـ أن الفرج مع الصبر وقل من جد في أمر وصبر إلا فاز بالخير في الدنيا والآخرة .

٦ ـ القرآن يشفع للعبد إذا عمل بمقتضى أوامره .

٧ ـ الناس قسمان لا ثالث لهما : سعيد بالعمل الصالح ، وشقي بالطغيان والفجور .

وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام ، وقد كان أبو إدريس الخولاني راويه عن أبي ذر إذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيماً له وإجلالا لتعليماته ، وقد وضح لك هذا الحديث الكثير من فضائل الله تعالى على عباده .

الشـــرح :

قوله – عز وجل – : « إني حرمت الظلم على نفسي » ، أي تقدست عنه . والظلم مستحيل في حق الله تعالى ، فإن الظلم مجاوزة الحد والتصرف في ملك الغير وهما جميعاً محال في حق الله تعالى .

قوله تعالى : « فلا تظالموا » ، أي فلا يظلم بعضكم بعضاً .

قوله تعالى : « إنكم تخطئون بالليل والنهار » ، بفتح التاء والطاء على أنه من خطئ ، بفتح الخاء وكسر الطاء ، يخطأ في المضارع ، ويجوز فيه ضم التاء على أنه من أخطأ ، والخطأ يستعمل في العمد والسهو ، ولا يصح إنكار هذه اللغة ، ويرد عليه قوله تعالى : « إن قتلهم كان خطأ كبيراً » بفتح الخاء والطاء ، وقرىء : « خطئاً كبيراً » أيضاً .

قوله تعالى : « لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . . إلخ » دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغن في ذاته عن كل شيء ، وأنه تعالى

الحديث الرابع والعشرون

فضل الله على عباده

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً ، فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ

---

(١) تقدمت ترجمته .

لا يتكثر بشيء من مخلوقاته ، وقد بيّن الله تعالى أن له ملك السموات والأرض وما بينهما ، ثم بيّن أنه مستغن عن ذلك « بخلق ما يشاء ، وهو قادر على أن يُذْهبَ هذا الوجود ويَخْلقَ غَيْرَه ، ومن قدر على أن يخلق كل شيء فقد استغنى عن كل موجود .

ثم بيّن سبحانه وتعالى أنه مستغن عن المعين والظهير ، فقال تعالى : « ولم يكن له وليّ من الذل » فوصْفُ العزّ ثابت أبداً ، ووصف الذلّ منتف عنه – تعالى – ومن كان كذلك فهو مستغن عن طاعة المطيع ، ولو أن الخلق كلهم أطاعوه كطاعة أتقى رجلٍ منهم وبادروا إلى أوامره واجتنبوا نواهيه ، ولم يخالفوه لم يتكثر سبحانه وتعالى بذلك ولا يكون ذلك زيادة في ملكه ، وطاعتهم إنما حصلت بتوفيقه وإعانته ، وطاعتهم نعمة منه عليهم .

ولو أنهم كلهم عصوه كمعصية أفجر رجلٍ وهو إبليس ، وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه لم يضره ذلك ولم ينقص ذلك من كمال ملكه شيئاً ، فإنه لو شاء أهلكهم وخلق غيرهم ، فسبحان من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

قوله تعالى : « فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر » ، ومعلوم أن المخيط وهو الإبرة وذلك في المشاهدة لا تنقص من البحر شيئاً والذي تتعلق بالمخيط لا يظهر له أثر بالنقص بالمشاهدة ولا في الوزن ، قوله تعالى : « فمن وجد خيراً فليحمد الله » ، أي على توفيقه لطاعته ، قوله تعالى : « ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » ، حيث أعطاها مناها واتبع هواها ، وضل عن سبيل الرشاد .

مقاصد الحديث

١ – لا يظلم الله عباده « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » .

٢ – طلب الهداية من الله « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاءُ » .

٣ ـ طلب الرزق من الله « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » .

٤ ـ الاستغفار بعد الذنوب « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاءُ » .

٥ ـ لن يستطيع مخلوق أن يضر الله أو ينفعه « الله خالق كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ قدير » .

٦ ـ الطاعة لا تزيد في ملك الله شيئاً « من عمل صالحاً فلنفسه » .

٧ ـ إعطاءُ الله عبادة لا ينقص من ملكه شيئاً « إن الله غني عن العالمين » .

٨ ـ أعمال ابن آدم تسجل له وعليه « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

٩ ـ من عمل خيراً فليشكر الله على توفيقه « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

١٠ـ من عمل شراً فلينتظر ماذا يفعل الله به « يوم تجزى كل نفس بما كسبت » .

ما يستنبط من الحديث

١ - على المسلم أن يتخلق بأخلاق الإسلام وتعاليم سيد الأنام.

٢ - على المرء أن يسير في طريق الهداية والرشاد ويتزوّد من التقوى ليوم المعاد .

٣ - على المسلم أن يطلب الدنيا من الله ويطلب الهداية من الله .

٤ - على المؤمن أن يطلب خيري الدنيا والآخرة من الله ، ويسأله غفران الذنوب .

٥ - المؤمن مذنب ولا عصمة إلا للأنبياء . وكل بني آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون .

٦ - ينبغي للمؤمن التائب أن يعتقد أن الله قد غفر ذنبه ، فالله عند ظن عبده به .

٧ - تنزيه الله من كل وصف لا يليق به وعلى العبد أن يعتقد أن عطاء الله لا ينفد .

٨ - يجب على المؤمن أن يشكر الله على نعمه آناء الليل والنهار ويعلم أن كل نعمة عليه هي من الله .

٩ - إذا اقترف العبد ذنباً وجب أن يعاقب نفسه ويلومها على تقصيرها ويرجع إلى التوبة والندم والعزم على العمل الصالح .

الحديث الخامس والعشرون

الصدقة الميسرة

عَنْ أَبِي ذَرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] ـ أيضاً : « أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا للنَّبِيِّ ﷺ : « يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ، قَالَ : أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةً ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ : أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ ! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم ونفعه عميم ، إذ يبين أن الطاعات في الإسلام ليست قاصرة على أداء بعض الواجبات فقط ، بل يتحصل المسلم على اغتنام

---

(١) تقدمت ترجمته .

الحسنات في كثير من أنواع العبادات القولية والعملية والمادية فسبحان المتفضل على عباده .

الشـــرح :

قوله : (أن ناساً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم من فقراء المهاجرين ، قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، أي ذهب أهل الأموال الطائلة بالأجر الكثير ، حيث أنهم كانوا ينفقون من أموالهم في وجـــوه الخير ، ولذلك واصلوا قولهم بالإيضاح (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) ، وضحوا في ذلك قصدهم بالسؤال وأن القوم لديهم أموال طائلة يتصدقون بها وهم يساوونهم في الصلاة والصوم ، فعليه يكون قد ذهبوا بالأجور الكثيرة لصدقاتهم الجمّة على الفقراء والمساكين ، وهنا يقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه موقف إقناع لهم بفضل الله تعالى عليهم وسعة رحمته لهم ، ومضاعفة الأجر والثواب لأعمالهم ، فيقول : « أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون » ، يوضح لهم بهذه الجملة على سبيل السؤال التقريري والإيضاح لهم ، ثم يتابع رسول الإسلام إيضاح ذلك لهم بقوله : « إن لكم بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة » ، يشعر النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه وأمته بتلك الحسنات الجسيمة الوافرة في مقابلة كلمات ينطق بها الإنسان بدون جهد عملي ، أو صرف مادي ، فسبحان المتفضل على عباده .

وهنا يوضح الرسول أمراً جديداً يشعر أصحابه وأمته ، فيقول : « وفي بضع أحدكم صدقة » ، يعني أن المسلم يتمتع بالمقاربة مع أهله ويكتب له بذلك الصدقة وينال الأجر والثواب ، وهنا يبدي أحد أصحاب الرسول إعجابه من عظيم فضل الله فيقول : أ هـ .

ونحيلكم إلى شرح المؤلف – رحمه الله – لنمتع بعلمه ومعرفته .

الشـــرح :

قوله : « قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر » .

اعلم أن شهوة الجماع شهوة أحبها الأنبياء والصالحون ، قالوا : لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية من غض البصر وكسر الشهوة عن الزنا وحصول النسل الذي تم به عمارة الدنيا وتكثر الأمة إلى يوم القيامة ، قالوا : وسائر الشهوات يقسي تعاطيها القلب إلا هذه فإنها ترقق القلب .

مقاصـــد الحديث

١ ـ احتجاج الفقراء على الأغنياء لسبقهم في الخيرات .

٢ ـ الصدقة على أنواع ، بتحصل المسلم بها الثواب .

(١) التسبحة تكتب بها صدقة .

(٢) التكبيرة تكتب بها صدقة .

(٣) التحميدة يكتب بها صدقة .

(٤) التهليلة يكتب بها صدقة .

(٥) الأمر بالمعروف يكتب به صدقة .

(٦) النهي عن المنكر يكتب به صدقة .

(٧) مقاربة الرجل لأهله لهما بذلك صدقة .

(٨) والصدقة بعشر أمثالها وتضاعف .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ تنافس الصحابة في عمل الخيرات .

٢ ـ الطاعات في الإسلام شاملة على الخير .

٣ ـ الصدقات لها طرق كثيرة .

٤ ـ الشهوات المشروعة فيها أجر .

٥ ـ نيّة المرء في عمله عليها المدار .

الحديث السادس والعشرون

على كل جارحة منك صدقة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كُلُّ سُلَامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْم تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ، تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

مقدمة الحديث :

هذا الحديث حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين الحنيف ، إذ يبين أن الأعمال الصالحة لا تقتصر على الإنسان نفسه ، بل كل عمل فيه نصح للناس ففيه أجر وقد أمر الله عباده بالتعاون على البر والتقوى .

الشرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل سلامى من الناس عليه صدقة » والسلامى : أعضاء الإنسان وذكر أنها ثلاث مائة وستون عضواً على كل عضو منها صدقة كل يوم ، وكل عمل برّ من تسبيح أو تهليل أو تكبير أو خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة فمن أدى هذه في أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقيته .

---

(١) تقدمت ترجمته .

وجاء في الحديث : « أن ركعتين من الضحى تقوم مقام ذلك »(١) ، وفي الحديث : « يقول الله تعالى : « يابن آدم صل لي أربع ركعـــات في أول اليوم أكفك في أول اليوم ، وأكفك في آخره »(٢) .

مقاصـــد الحديث

١ ـ الصدقات الواجبة على كل إنسان على كل عضو من أعضائه .

٢ ـ الصدقات التي يسهل تقديمها من كل إنسان في مقابلة الواجب :

(أ) إصلاح ذات البين صدقة ، بل صدقات على قدر سعي المصلح .

(ب) إعانة الرجـــل على دابته ، أو إيقاف الدابة ليركبها أخوه المسلم .

(ج) الكلمة الطيبة النافعة إذا أراد قائلها الخير .

(د) المشي إلى الصلاة بكل خطوة صدقة ولو ركبت دابة .

(هـ) إماطة الأذى عن الطريق لقصد مصلحة الناس ودفع الضرر عنهم صدقة .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود . (٢) رواه أحمد وأبو يعلى .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ للبدن زكاة كما أن للمال زكاة، لأن هذه الجوارح تفيدك في حياتك.

٢ ـ زكاة البدن هي أعمال الخير العملية والقولية كقراءة القرآن والذكر واعانة الانسان لاخيه فيما يمكنه.

٣ ـ لا تقتصر العبادات في الإسلام على الواجبات وحسب بل يمكن للإنسان أن يتقرّب إلى ربه بالنوافل والذكر.

الحديث السابع والعشرون

البر والاثم

عَنِ النَّوّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَيِ الْإِمَامَيْنِ : أَحْمَد بْنِ حَنْبَل وَالدَّارِمِي بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

ترجمة الراوي

النواس بن سمعان الكلابي ويقال الأنصاري وقيل : هو ابن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، كان من أصحاب الصفة وسكن الشام وأقام مع رسول الله بالمدينة سنة ، لأجل أن يتفقه في الدين وروي له سبعة عشر حديثاً .

المقدمة :

هذا الحديث من جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه مدار الإسلام ، لأنه يبحث في أمرين عظيمين ، الأول : عن البر وأنه الخلق الحسن . والثاني : عن معجزة الرسول وإخباره بما جاء وابصة يسأل عنه وأنه البر والإثم .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « البر حسن الخلق » ، وقد تقدم الكلام في حسن الخلق ، وما أحسن ما قيل في حسن الخلق :

بشاشـــة الوجـــه وكـــف الأذى وبذلك المعروف حسن الخلـــق

ويقول الآخر :

بشاشة وجه المرء خـــير من القرى فكيف بمن يبدي القرى وهو باسم

قال ابن عمر : البر أمر هيّن وجه طلق ولسان ليّن .

وقد ذكر الله تعالى آية جمعت أنواع البر ، فقال تعالى : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر »(١) ، قوله – صلى الله عليه وسلم – : « والإثم ما حاك في نفسك » ، أي اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله .

وفي الحديث دليل على أن الإنسان يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شيء ، فإن اطمأنت عليه النفس فعله وإن لم تطمئن تركه .

وقد تقدم الكلام على الشبهة في الحديث : « الحلال بيّن والحرام بيّن »(٢) .

ويروى أن آدم – عليه الصلاة والسلام – أوصى بنيه بوصايا ، منها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإني لمّا دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبي عند الأكل ، ومنها : أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فانظروا في عاقبته ، فإني لو نظرت في عاقبة الأكل من الشجرة لما أكلت منها ، ومنها : أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فاستشيروا الأخيار ، فإني لو استشرت الملائكة لأشاروا عليّ بترك الأكل من الشجرة .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وكرهت أن يطلع عليه الناس » ، لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة وعلى أخذها وعلى نكاح امرأة ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٢) ولفظه وبينهما أمور مشتبهات .

قد قيل : أنها أرضعت معه ، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : « كيف وقد قيل » ، وكذلك الحرام ، إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس ، ومثال الحرام الأكل من مال الغير ، فإنه يجوز إن كان يتحقق رضاه ، فإن شك في رضاه حرم الأكل ، وكذلك التصرّف في الوديعة بغير إذن صاحبها ، فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه ، وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه .

قوله – صلى الله عليه وسلم – « والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » ، مثاله الهدية إذا جاءتك من شخص ، غالب ماله حرام ، وترددت النفس في حلها ، وأفتاك المفتي بحل الأكل فإن الفتوى لا تزيل الشبهة ، وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانه ، فإن المفتي إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال نصاب الرضاع ، أي خمس رضعات لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة ، بل ينبغي الورع وإن أفتاه الناس ، والله أعلم .

مقاصد الحديث

١ – البر : أن تتخلق بالأخلاق الحسنة ، وتكف الأذى عن الناس وتبذل المعونة للمعوزين بدون مَنٍّ ولا أذى .

٢ – أن تجتنب ما تكره اطلاع الناس عليه .

ما يستنبط من الحديث

١ – مَن أراد الإقدام على عمل فيراجع نفسه .

٢ – اجتناب العمل الذي تضطرب النفس منه .

٣ ـ التزام عمل يطمئن القلب فيه .

٤ ـ القلب المؤمن يطمئن للحلال .

٥ ـ القلب المؤمن يضطرب من الحرام .

٦ ـ كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب كل سائل بما يستحق ويعلم منه لأن الله يطلعه على حالة السائل.

٧ ـ الفتوى لا تزيل الشبهة إذا وجد المسلم في قلبه الاضطراب .

الحديث الثامن والعشرون

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، قَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدِثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمُذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ترجمة الراوي

العرباض بن سارية السلمي

أسلم قديماً وكان رابع من أسلم وهو من أهل الصفة ومن المشتاقين إلى لقاء الله ، فكان يقول : اللهم كبر سني ووهن عظمي فأقبضني إليك ، مات في الشام سنة خمس وسبعين ومروياته أحدى وثلاثون حديثاً .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث جليل يحتوي على علوم فيها التقوى والسمع والطاعة في غير معصية ، وعن اختلاف الناس في المستقبل ، فيلزم من ذلك التمسك بسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وسنة الخلفاء الراشدين وترك البدع المضلة .

الشـــرح :

قوله : « وعظنا » ، الوعظ هو التخويف ، قوله : « وذرفت منها العيون » ، أي بكت ودمعت . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « عليكم بسنتي » ، أي عند اختلاف الأمور إلزموا سنتي وعضوا عليها بالنواجذ ، وهي مؤخرة الأضراس ، وقيل : الأنياب ، والإنسان متى عض بنواجذه كأن يجمع أسنانه فيكون مبالغة ، فمن العض على السنة الأخذ بها وعدم إتباع آراء أهل الأهواء والبدع ، وعضوا : فعل أمر من عض يعض ، وهو بفتح العين وضمها لحن ، ولذلك تقول : بِرَّ أمك يا زيد ، لأنه من بِرأ ، ولا تقول بُرّ أمك بضم الباء . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » ، رضي الله عنهم – يريد الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

مقاصـــد الحديث

١ – أن تجعل تقوى الله تعالى نصب عينيك وتعمل بما يرضي خالقك لتكون من المتقين .

٢ – عليك بالسمع والطاعة لولي الأمر وجاهد نفسك على امتثال أمره إلا في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٣ ـ التمسك بطريقتي السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين بعده .

٤ ـ الحذر من الأُمور المحدثة التي لا أَصل لها في الدين فالخير كل الخير في الاتباع والشر كل الشر في الابتداع .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ ينبغي للعالم أَن يعظ قومه ويتخولهم بالموعظة ويذكر بالموت والحساب والجنة والنار .

٢ ـ يجب السمع والطاعة لولي الأَمر ما لم يكن في معصية .

٣ ـ على العاقل أَن يهتدي بسنة الرسول وصحابته الكرام وما كان عليه السلف الصالح .

٤ ـ كل أَمر خالف الكتاب والسنة يعد محدثاً في الإِسلام وقد أَكمل الله شرائع الإِسلام على لسان سيد الأَنام ، فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإِسلام ديناً »[1] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤ .

الحديث التاسع والعشرون

طريق الجنـة

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِيَ الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ ؟ قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلَا : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ » ، حَتَّى بَلَغَ « يَعْمَلُونَ » ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، وَقَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقال :

---

(١) تقدمت ترجمته .

ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » . رَوَاهُ التِّرْمُذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

مقدمة الحديث :

هذا الحديث أصل عظيم متين وقاعدة من قواعد الدين ويشتمل على أكثر واجبات الإسلام .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وذروة سنامه » ، أي أعلاه ، وملاك الشيء بكسر الميم : أي مقصوده . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ثكلتك أمك » ، أي فقدتك ولم يقصد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حقيقة الدعاء بل جرى ذلك على ألسنة العرب في المخاطبات، وحصائد ألسنتهم جناياتهم على الناس بالوقوع في أعراضهم والمشي بالنميمة ونحو ذلك ، وجنايات الناس : الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وكلمة الكفر والسخرية وخلف الوعد ، قال الله تعالى : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »(١) .

مقاصـــد الحديث

١ – الحرص على ما يدخل الجنة ويبعد عن النار :

(أ) عبادة الله الخالصة من الشرك والاعتقادات الباطلة ودعوة غير الله وصرف شيء من العبادات لغيره .

---

(١) سورة الصف : الآية ٣ .

(ب) إقامة الصلاة إذ أن الصلاة هي الركن العظيم من أركان الإسلام .

(جـ) إيتاءالزكاة : إخراج ربع العشر في كل حول مما يملكه الإنسان من ماله فاضلا عن احتياجات حياته.

(د) صوم رمضان : الإمساك عن الطعام والشراب في نهار شهر رمضان في كل عام كما ورد .

٢ ـ أبواب الخير : وقد أرشد الرسول إليها عرضاً وإجمالا ثم فصل ذلك :

(أ) صيام النفل، وكون الصوم جنة أي حجاب من النار .

(ب) صدقة السر والعلانية تكفر الذنوب وتدفع البلاء وصدقة السر أفضل .

(جـ) صلاة الليل، أي قيام الليل وهي الصلاة في جوف الليل أو آخره وبعد النوم .

٣ ـ رأس الأمر هو الإسلام وذروة سنامه ، عرضها الرسول إجمالا ، ثم بيّن التفصيل :

(أ) الإسلام : لا يقبل الله ديناً غيره بعد رسالة محمد وإنزال القرآن .

(ب) الصلاة : مثَّل الرسول الصلاة بالعمود للبيت فلا قيام له إلا بالعمود .

(جـ) الجهاد : وأعلمنا الإسلام الجهاد في سبيل الله إذا توفر ذلك وإلا فعليك بجهاد النفس والشيطان والصبر على مكاره العبادة .

٤ - ملاك ذلك كله : يشير الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ما يملك لك ما تقدم أي أجره .

ما يستنبط من الحديث

١ - حرص الصحابة على الأعمال التي تؤديهم إلى الجنة وتبعدهم عن النار .

٢ - ثناءُ الرسول على السائل ، لأنه سأل عن أمر عظيم وهو يسير على من يريد العمل به .

الأعمال الصالحه هي فضل من الله إلى العبد ، والتوحيد مقدم على العمل .

٤ – العمل بالواجبات طريق لدخول الجنة ، لذلك دلَّه الرسول على أبواب الخير .

٥ – على المرشد أن يستعمل أساليب للتشويق في الكلام كما استعمله الرسول في جوابه .

٦ – صلاة الرجل في جوف الليل من أعظم العبادات .

٧ – خطورة اللسان وسطوته على حسنات الإنسان ومآل عقوبته .

الحديث الثلاثون

حقوق اللـه

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا » . حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ .

ترجمـة الراوى

كان من مشاهير الصحابة وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست من الهجرة ، مات في الشام وهو ساجد سنة خمس وتسعين ، ومروياته أربعون حديثاً . وقد ضرب له بسهمه في خيبر وأرسله النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى قومه فأسلموا .

مقدمة الحديث :

هذا الحديث من جوامع كلمه – صلى الله عليه وسلم – وهو يحوي أصول الدين وليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه ، ولهذا قال السمعاني : من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب .

الشرح الإكمالي :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها) ، حث الرسول في هذه الكلمة على المحافظة بكل فرائض الله تعالى على عباده .

وتضييع الفرائض هو التهاون فيها بأدائها أو تأخيرها عن وقتها، أو عدم الإتيان والاستيفـــاء ببعض شروطها ، والتكاسل والتأخّر عنها ، يعد أيضاً من عوامل تضييع الفرائض ، فلذلك حث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمته وأنذرهم بالنهي عن تضييعها، ثم قال : (وحد حدوداً فلا تعتدوها) لا ريب أن الله سبحانه وتعالى بيّن الحدود في كتابه العزيز ، وقال في سياق الإنذار عن التعدي لحدوده: « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ، ويشير النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر إلى التهاون عن حدود الله ، فيضرب المثل بقوله : (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه) .

فكذلك يشير الرسول – عليه الصلاة والسلام – في هذا الحديث بقوله : « فلا تعتدوها » ، ليكون المسلم حريصاً على الوقوف دون حدود الله تعالى ، انتهى الشرح الإكمالي ويليه شرح المؤلف .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وحرم أشياء فلا تنتهكوها » ، أي فلا تدخلوا فيها . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « وسكت عن أشياء رحمة لكم » تقدم معناه .

مقاصد الحديث

١ ـ المحافظة على الفرائض كلها من صلاة وصوم وزكاة وحج وعمرة وغير ذلك .

٢ ـ اجتناب المحرمات والحذر من تعدى حدود الله .

٣ ـ النهي عن كثرة السؤال والبحث بصورة الجدال عن كل ما لم يرد تحريمه .

٤ ـ أن الله رحيم بحال عباده ، وقد خفف عنهم في العبادة ولم يحملهم ما لا يطيقون .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ لا يجوز لأي شخص أن يشرع حدوداً أو أحكاماً .

٢ ـ الأصل في الأشياء الإباحة ولا يحرم شيئاً إلا بدليل أو نص صحيح .

٣ ـ يستحيل على الله سبحانه وتعالى النسيان بل يقصد الرأفة بعباده .

الحديث الحادي والثلاثون

الزهـــد

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؟ ، فَقَالَ : « إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ .

ترجمـــة الراوى

سهل بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارث بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة .

وكان اسمه حزناً فسماه النبي – صلى الله عليه وسلم – : سهلا ، مات النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، توفي سنة إحدى وتسعين وله مائة سنة من العمر أو تسعة وتسعون سنة ومروياته مائة حديث وثمانية وثمانون حديثاً .

مـــقدمة الحديث :

هذا الحديث هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، إذ الزهد في الدنيا يدل على الورع وتكسب به محبة الله والزهد فيما عند الناس يدل على العزة والعفة والقناعة ويكسب بذلك محبة الناس .

الشـــرح :

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ازهد في الدنيا يحبك الله » ، الزهد : ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالا والاقتصار على الكفاية والورع ترك الشبهات . قالوا : وأعقل الناس الزهّاد ، لأنهم أحبوا ما أحب الله ، وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا ، واستعملوا الراحة لأنفسهم . قال الشافعي ــ رحمه الله تعالى ــ : لو أوصى شخص بوصية لأعقل الناس، صرف للزهّاد .

ولبعضهم :

كن زاهداً فيما حوت أيدي الورى ... تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم ... فغدا رئيساً في الجحور قريبا

وللشافعي ــ رضي الله عنه ــ في ذم الدنيا :

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلا ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها ... حرام على نفس التقي ارتكابها

قوله : « حرام على نفس التقي ارتكابها » يدل على تحريم الفرح بالدنيا ، وقد صرح بذلك البغوي في تفسيره عند قوله تعالى : « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع »(١) ، ثم المراد بالدنيا المذمومة : طلب الزائد على الكفاية ، أما طلب الكفاية فواجب ، قال بعضهم : وليس ذلك من الدنيا ، وأما الدنيا ، فالزائد على الكفاية ، واستدل بقوله تعالى : « زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهواتِ منَ النِّساءِ وَالْبَنينَ »(٢) الآية ، فقوله تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا إشارة إلى ما تقدم من طلب التوسع والتبسط ، قال الشافعي

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤ .

ـ رحمه الله تعالى ـ : طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد ، ولبعضهم :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشرٍّ خاب بانيها
النفس ترغب في الدنيا وقد علمت ... أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً ... واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

ثم بعد ذلك إذا فرح بها لأجل المباهاة والتفاخر والتطاول على الناس فهو مذموم ، ومن فرح بها لكونها من فضل الله عليه فهو محمود .

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : (اللهم إنا لا نفرح إلا بما رزقتنا) . وقد مدح الله تعالى المقتصدين في العيش ، فقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »(١) الآية ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد »(٢) وكان يقال : القصد في المعيشة يكفيك نصف المؤنة ، والاقتصاد الرضى بالكفاية ، قال بعض الصالحين : من اكتسب طيباً وأنفق قصداً قدم فضلا .

مقاصد الحديث

١ ـ من زهد في الدنيا حصل على محبة الله وعاش سعيداً قرير العين .

٢ ـ من زهد فيما عند الناس أحبه الناس وعاش شريفاً رفيع القدر لدى الناس .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٧ .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ من أحب الدنيا وتهاون بأوامر ربه أبغضه الناس وغضب الله عليه .

٢ ـ حب الدنيا مفتاح كل شر ، وقد ورد : اتق الدنيا واتق النساء .

٣ ـ طلب الكفاية من الدنيا واجب ، والزهد : ترك الزائد منها .

٤ ـ لا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك .

الحديث الثاني والثلاثون

لا ضرر ولا ضرار

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » . حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارَقُطْنِي وَغَيْرُهُمَا مُسْنَداً . وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَإِ مُرْسَلاً عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيد ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً .

ترجمة الراوى

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، استصغر يوم أحد واستشهد أبوه بها ، وكان – رحمه الله – من أحداث الصحابة ، غزا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اثنتي عشرة غزوة ، وكان من فضلاء القوم وعلمائهم ، مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ ، وله أربعة وتسعون سنة ، ودفن بالبقيع ، ومروياته من الأحاديث ألف ومائة وسبعون حديثاً ، وقد عدّه بعض أهل العلم من المكثرين السبعة ، وكان جريئاً ومن جرأته أنه خرج يوماً إلى الحرة فدخل غاراً فإذا بشامي دخل عليه فقال له : أخرج ، فقال : لا أخرج وإن تدخل عليَّ قتلتك ، فدخل عليه الشامي ، فوضع أبو سعيد السيف وقال له : بوء بإثمك ، فقال له الشامي : أنت أبو سعيد ، فقال : نعم ، فقال له : استغفر لي ، ثم تركه الشامي مرعوباً ، وانصرف عنه .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام ، إذ يحوي على تحريم سائر أنواع الضرر ما قلّ منها وما كثر بلفظ بليغ وجيز وذلك ليسود الوفاق والتعاون والتنافع بين الناس .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا ضرر » ؛ أي لا يضر أحدكم أحداً بغير حق ولا جناية سابقة . قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ولا ضرار » ، أي لا تضر من ضرك ، وإذا سبّك أحد فلا تسبه ، وإن ضربك فلا تضربه ، بل اطلب حقك منه عند الحاكم من غير مسابّة ، وإذا تساب رجلان أو تقاذفا لم يحصل التقاص ، بل كل واحد يأخذ حقه بواسطة الحاكم ، وفي الحديث عنه – صلى الله عليه وسلم– : « للمتسابين ما قالا وعلى البادي منهما الإثم ما لم يعتدى المظلوم بسبب زائد » .

مقاصـــد الحديث

١ – تحريم ضرر النفس وذلك بإلقائها المخاطر أو ارتكاب المحرمات .

٢ – تحريم ضرر الغير وذلك بمجاوزة الحد على الغير ، وإذا كان قصاصاً فيجب المماثلة .

ما يستنبط من الحديث

١ – السعي للأعمال السليمة من الأذى للنفس في الدنيا والآخرة .

٢ – اجتناب سائر المضرات في النفس والمال والأهل والعِرض للغير .

الحديث الثالث والثلاثون

البيِّـــنة

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِي وَغَيْرُهُ هَكَذَا ، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

المقـــدمة :

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين الذي يبني أحكامه على الحقائق ، وإذا فقد الدليل فلا بد من اليمين وهو فصل الخطاب .

الشـــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « البينة على المدعي واليمين على من أنكر » ، إنما كانت البينة على المدعي ، لأنه يدعي خلاف الظاهر والأصل براءة الذمّة ، وإنما كانت اليمين في جانب المدعى عليه ، لأنه يدعي ما وافق الأصل وهو براءة الذمة . ويستثنى مسائل ، فيقبل المدعي بلا بينة فيما لا يعلم إلا من جهته ، كدعوى الأب حاجة إلى الإعفاف ، ودعوى السفيه التوقان إلى النكاح مع القرينة ، ودعوى الخنثى الأنوثة والذكورة ، ودعوى الطفل البلوغ بالاحتلام ، ودعوى المدين الإعسار في دَيْنٍ لزمه بلا مقابل ، كصداق الزوجة والضمان وقيمة المتلف ، ودعوى المرأة انقضاء العدة بالإقراء أو بوضع الحمل

---

(١) تقدمت ترجمته .

ودعواها أنها استحلت وطلقت ، ودعوى المودَع تلف الوديعة أو ضياعها بسرقة أو نحوها . ويستثنى أيضاً القسامة ، فإن الأيمان تكون في جانب المدعي مع اللوث واللعان فإن الزوج يقذف ويلاعن ويسقط عنه الحدود ودعوى الوطء في مدة اللعنة ، فإن المرأة إذا أنكرته يصدق الزوج بدعواه إلا أن تكون الزوجة بكراً .

وكذا لو ادعى أنه وطئ في مدة الإيلاء ، وتارك الصلاة ، إذا قال : صليت في البيت ، ومانع الزكاة ، إذا قال : أخرجتها إلا أن ينكر الفقراء وهم محصورون ، فعليه البينة .

وكذا لو ادعى الفقـــر وطلب الزكاة أعطي ولا يحلف ، بخلاف ما إذا ادعى العيال ، فإنه يحتاج إلى البينة .

ولو أكل في يوم الثلاثين من رمضان وادعى أنه رأى الهلال لم يقبل منه إن ادعى ذلك بعد الأكل ، فإنه ينفي عن نفسه التعزير ، وإذا ادعى ذلك قبل الأكل قبل ولم يعزر ، وينبغي أن يأكل سراً ، لأن شهادته وحده لا تقبل .

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « واليمين على من أنكر » ، هذه اليمين تسمى يمين الصبر وتسمى الغموس ، وسميت يمين الصبر ، لأنها تحبس صاحب الحق عن حقه ، والحبس : الصبر ، ومنه قيل : للقتيل والمحبوس عن الدفن مصبر .

قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من حلف على يمين صبر يقتطع به مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان »(١) ، وهذه اليمين لا تكون إلا على الماضي ، ووقعت في القرآن العظيم في مواضع كثيرة : منها قوله تعالى : « يحلفون بالله ما قالوا »(٢) ، ومنها قوله تعالى إخباراً عن الكفرة : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين »(٣) ، ومنها قوله تعالى : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا »(٤) الآية ، ويستحب للحاكم أن يقرأ هذه الآية عند تحليفه للخصم لعله ينزجر بذلك .

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) سورة التوبة : الآية ٧٤ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٣ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٧ .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لو يُعْطى الناس بدعواهم » فيه إشارة واضحة على عدم ثبوت دعوى كل مدعي تمجده دعواه وأنه لا بد من مستندات تثبت ما يدعيه ، ولذلك عقب المشرع – عليه الصلاة والسلام – بتصريح ماسيحصل لو أعطي المدعي حقه بمجرد دعواه ، فقال : « لا دّعى رجال أموال قوم ودماءهم » فتكون نتيجة إثبات دعوى المدعي بمجرد دعواه أن كثيراً من الناس سوف يدّعون بأموال طائلة ، بل ويدّعون بدماء قوم يقتلون بدون أي سبب من المدعى عليه ، ولكن هكذا قسطاس الشرعة وعدل الحكم الإلهي ، وهنا أتى الرسول بالاستدراك في الأمر ليوضح الحكم العادل والقسطاس المستقيم .

مقاصد الحديث

١ – ما كل من ادعى شيئاً يعطى له بمجرد دعواه .

٢ – من ادعى بشيء على إنسان فلا بد له من البينة ليثبت دعواه .

٣ – على المدعى عليه إذا أنكر ، اليمين إذا عجز المدعي عن البينة أو الإثبات .

ما يستنبط من الحديث

١ - الأَصل براءة الذمة حتى يدان المتهم بالإثبات .

٢ - يبني القاضي حكمه على ما يظهر له والأَصل براءة ذمة المدعى عليه .

٣ - على الحاكم أَن يبذل جهده في المسأَلة ويبحث عن القرائن والدلائل .

٤ - إذا لم يحصل برهان يثبت حق المدعي ولا بينة فاليمين على المنكِر .

الحديث الـرابع والثلاثون

النهي عن المنـكر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَـمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَـمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمانِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

المقـدمة :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وواضح أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة وهذه وظيفة الخالق لهذه الأمّة قال ـ جل ذكره ـ : «كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

الشـرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وذلك أضعف الإيمان » ، ليس المراد أن العاجز إذا أنكر بقلبه يكون إيمانه أضعف من إيمان غيره ، وإنما المراد أن ذلك أدنى الإيمان ، وذلك أن العمل ثمرة الإيمان ، وأعلى ثمرة الإيمان في باب النهي عن المنكر ، أن ينهى بيده وإن قتل كان شهيداً ، قال الله تعالى : حاكياً عن لقمان : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك »[2] ، ويجب النهي على القادر باللسان وإن لم يسمع منه ، كما إذا علم أنه إذا سلم لا يرد عليه السلام ، فإنه يسلم . فإن قيل قوله ـ صلى الله عليه

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٧ .

وسلم – : « فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » ، يقتضي أن غير المستطيع لا يجوز له التغيير بغير القلب والأمر للوجوب .

فجوابه من وجهين : أحدهما أن المفهوم مخصص بقوله تعالى : « واصبر على ما أصابك » ، والثاني : أن الأمر فيه يعني رفع الحرج لا رفع المستحب ، فإن قيل : الإنكار بالقلب ليس فيه تغيير المنكر ، فما معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فبقلبه » . فجوابه : أن المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه ويشتغل بذكر الله ، وقد مدح الله تعالى العاملين بذلك ، فقال : « وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً »(١) .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » .

يوجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه وأمته إلى أداء واجبهم وينظم لهم العمل ويعطي كل طبقة من العالم استطاعته لذلك ، فقد بدأ أولا بالطبقة الأولى وهي القادرة على التنفيذ ، حيث أن التغيير باليد والفعل لا تقدر عليه إلا السلطات المنفذة .

فإذاً هو واجب الحكام والأمراء والرؤساء ، وواجب كل صاحب سلطان في حكمه وسلطنته ، وعليه أن يغير المنكر بيده وليس له عذر عند الله إذا وافق وسكت على المنكر ، لأنه المسؤول وقد أجاد القائل حيث قال :

وعار على راع الحمى وهو قادر
إذا ضاع في البيداء عقال بعير

وإذا تهاونت الولاة والحكام وأقروا المنكر في أوطانهم لا ينفع القول مع إقرار أهل التنفيذ وتكون المسؤولية الكبرى عليهم ، لأنهم لم ينفذوا وقد ورد « أن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

ثم يشير الرسول إلى الطبقة الثانية بقوله : « فإن لم يستطع فبلسانه » وهذه وظيفة العلماء والدعاة والمرشدين ، ويشترك معهم ذووا الشأن والكلمة كالأسرة الحاكمة التي لها مكانتها ، ولذلك فإن واجب العلماء والدعاة مواصلة القول والإعلان بالحق بدون محاباة ومداهنة ، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعليها أن يؤدي أمانته بالتبليغ وتوجيه النصيحة إلى أئمة المسلمين وعامتهم ، وتواصل عملها على بصيرة وتتحمل كلما تلقها من لوم وتعب، إذ أن الداعي إلى الحق لا بد أن يؤذى ولا بد أن يلاقي بعض الأتعاب ، فعليه أن يمتثل أمر ربه في التوصية الواردة بالقرآن الكريم « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وينتقل الرسول — صلى الله عليه وسلم — للطبقة الثالثة وهي الطبقة الأخيرة التي هي أضعف الإيمان وهي وظيفة العامة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا للفعل ولا للقول ، وهذا معنى قول الرسول — عليه الصلاة والسلام — : « ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، وهذا آخر غاية في رفع المسؤولية ، ويشترط على هذا المنكِر أن لا يقر المنكَر بمرافقة مرتكبه أو مجالسته أو مساعدته أو صرف المحبة له ، فإذا أنكر بقلبه ووالى من حاد الله ورسوله فقد نسخ إنكاره بمحبته لمرتكب المنكر أو المعتدي حدود الله .

فلذلك يجب الالتزام الصحيح بالإنكار القلبي مع مراعاة عدم الموافقة والمداهنة وبذلك يكون قد أدى واجبه .

وهنا ينتهي شرحنا للقسم الأول من الحديث ونحيل القارئ الكريم على شرح المؤلف — رحمه الله — من قوله « وذلك أضعف الإيمان » والله ولي التوفيق .

مقاصد الحديث

١ ـ يجب على المسلم أن يغير المنكر بيده .

٢ ـ إذا لم يستطع المسلم أن يغير المنكر بيده فبلسانه .

٣ ـ إذا لم يستطع المسلم أن يغير المنكر بلسانه فبقلبه .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ المنكر من أنكره الشرع وحرّمه .

٢ ـ علينا أن ننكر ما نجده أمامنا بدون تحرٍ .

٣ ـ العمل ثمرة الإيمان .

الحديث الخـامس والثلاثون

آداب إجتماعيـة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً . الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

متعلقات الحديث :

هذا الحديث هو حديث عظيم الفوائد ، إذ يحتوي على آداب اجتماعية ضرورية لقوام المجتمع حتى يكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

الشـــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تحاسدوا » ، قد تقدم أن الحسد على ثلاثة أنواع ، والنجش : أصله الارتفاع والزيادة ، وهو أن يزيد في ثمن سلعة لغير شراء وهو حرام ، لأنه غش وخديعة .

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ولا تدابروا » ، أي لا يهجـــر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه دبره أو ظهره .

---

(١) تقدمت ترجمته .

قال – صلى الله عليه وسلم – : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »(١) ، والبيع على بيع أخيه ، صورته : أن يبيع أخوه شيئاً فيأمر المشتري بالفسخ ليبيعه مثله أو أحسن منه بأقل من ثمن ذلك ، والشراء على الشراء حرام : بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتريه منه بأعلى ثمن ، وكذلك يحرم السوم على سوم أخيه ، وكل هذا داخل في الحديث لحصول المعنى ، وهو التباغض والتدابر وتقييد النهي ببيع أخيه يقتضي أنه لا يحرم على بيع الكافر ، وهو وجه لابن خالويه ، والصحيح لا فرق لأنه من باب الوفاء بالذمة والعهد .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « التقوى ههنا وأشار بيده إلى صدره » أراد القلب ، وقد تقدم قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » الحديث .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ولا يخذله » ، أي عند أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر ، أو عند مطالبته بحق من الحقوق ، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ولا يحقره » ، أي فلا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره ، بل يحكم على غيره بأنه خير منه ، أو لا يحكم بشيء ، فإن العاقبة منطوية ولا يدري العبد بما يختم له ، فإذا رأى صغيراً مسلماً حكم بأنه خير منه باعتبار أنه أخف ذنوباً منه ، وإن رأى من هو أكبر سناً منه حكم له بالخيرية ، باعتبار أنه أقدم هجرة منه في الإسلام ، وإن رأى كافراً لم يقطع له بالنار ، لاحتمال أنه يسلم فيموت مسلماً .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « بحسب امرىء من الشر » ، أي يكفيه من الشر أن يحقر أخاه ، يعني أن هذا شر عظيم يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب .

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « كل المسلم . . إلخ » ، قال في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم

(١) رواه الشيخان والترمذي ومالك وأبو داود .

هذا في بلدكم هذا »(١) ، واستدل الكرابيسي بهذا الحديث على أن الغيبة والوقوع في عرض المسلمين كبيرة ، إما لدلالة الاقتران بالدم والمال ، وإما للتشبيه بقوله : كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » ، وقد توعّد الله تعالى بالعذاب الأليم عليه ، فقال تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »(٢) .

مقاصد الحديث

١ ـ النهي عن التحاسد .

٢ ـ النهي عن الزيادة في السلعة لضرر غيره .

٣ ـ النهي عن الهجر .

٤ ـ النهي عن البيع الذي يكون على بيع أخيه المسلم .

٥ ـ الأمر بإخاء المسلم لأنه أخو المسلم :

(أ) تحريم ظلم المسلم .

(ب) تحريم خذلان المسلم .

(ج) النهي عن تكذيب المسلم .

(د) تحريم تحقير المسلم .

(هـ) احتقار المسلم شر مستطير .

(و) تحريم سفك دماء المسلم .

---

(١) سورة الحج : الآية ٢٥ . (٢) رواه الشيخان .

(ز) تحريم أكل مال المسلم .

(ح) تحريم التعدي على عِرض المسلم .

٦ ـ التقوى في القلب .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ حث الإسلام على السمو بالنفس الإنسانية إلى المثالية العالية .

٢ ـ ليس الإسلام عقيدة وعبادة فحسب ، بل هو أخلاق ومعاملة كذ لك .

٣ ـ النفاق مرض اجتماعي خبيث يجب استئصاله .

٤ ـ الحث على الصدق في القول والأمانة في العمل والوفاء في النية .

٥ ـ من أسوأ الخصال احتقار المسلم لأخيه المسلم .

٦ ـ يحرم على المسلم التجاوز على أخيه المسلم في دمه وماله وعرضه .

الحديث السادس والثلاثون

الاحسان جزاء الاحسان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ.

المقدمة:

هذا الحديث موقعه عظيم، لما فيه من البشارة والنذارة التي تدفع المؤمن للعمل في سبيل خدمة الناس ومجالسة أهل العلم والقرآن وذم من يعتمدون على الأنساب ويهملون الأعمال والتمسك بتقوى الله وطاعة الله تعالى وهو يقول: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

---

(١) تقدمت ترجمته.

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » ، فيه دليل على استحباب القرض وعلى استحباب خلاص الأسير من أيدي الكفار بمال يعطيه ، وعلى تخليص المسلم من أيدي الظلمة وخلاصه من السجن . يقال : إن يوسف – عليه السلام – لمّا خرج من السجن كتب على بابه : هذا قبر الأحياء ، وشماتة الأعداء ، وتجربة الأصدقاء . ويدخل في هذا الباب الضمان عن المعسر ، والكفالة ببدله لمن هو قادر عليه ، أما العاجز فلا ينبغي له ذلك ، وقال بعض أصحاب القفال : إن في التوراة مكتوباً : « أن الكفالة مذمومة ، أولها ندامة وأوسطها ملامة وآخرها غرامة » ، فإن قيل : قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »(١) ، وهذا الحديث يدل على أن الحسنة بمثلها ، لأنها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب من يوم القيامة . فجوابه من وجهين : أحدهما : أن هذا من باب مفهوم العدد ، والحكم المعلق بعدد لا يدل على نفي الزيادة والنقصان ، والثاني : أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ، ومخاوف جمّة ، وتلك الأهوال يزيد على العشرة وأضعافها ، وفي الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق اللازم للملزوم ، وذلك أن فيه وعداً بإخبار الصادق : أن من نفّس الكربة عن المسلم يختم له بخير ، ويموت على الإسلام ، لأن الكافر لا يرحم في دار الآخرة ولا ينفّس عنه من كربة شيء ، ففي الحديث إشارة إلى بشارة تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الأمارة ، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون « لمثل هذا فليعمل العاملون »(٢) ، فأفضل العمل تنفيس الكرب . وفي الحديث دليل على استحباب ستر المسلم ، إذا اطلع عليه أنه عمل فاحشة ، قال الله تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة »(٣)

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .
(٢) سورة الصافات : الآية ٦١ .
(٣) سورة النور : الآية ١٩ .

والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنباً أن يستر على نفسه ، وأما شهود الزّنا ، فاختلف فيهم على وجهين : أحدهما يستحب لهم الستر ، والثاني : الشهادة . وفصل بعضهم فقال : إن رأوا مصلحة في الشهادة شهدوا ، أو في الستر ستروا ، وفي الحديث دليل على استحباب المشي في طلب العلم ، ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود – عليه الصلاة والسلام – : أن خذ عصى من حديد ونعلين من حديد وامش في طلب العلم حتى يتخرّق النعلان وتتكسر العصى . وفيه دليل على خدمة العلماء وملازمتهم والسفر معهم واكتساب العلم منهم ، قال الله تعالى ، حاكياً عن موسى – عليه الصلاة والسلام – : « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً »(١) ، واعلم أن هذا الحديث له شرائط ، منها العمل بما يعلمه ، وقال أنس – رضي الله عنه – : العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية ، قال الشاعر :

مواعظ الواعظ لن تقبل ... حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ ... خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الخلق إحسانه ... وخالف الرحمن لما خلا

ومن شرائطه نشره ، قال الله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »(٢) . وروى أنس – رضي الله عنه – : « أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأصحابه : ألا أخبركم عن أجود الأجواد ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم بعدي رجل علم علماً فنشره ، يبعث يوم القيامة أمّة وحده ، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل »(٣) .

ومن شرائطه ترك المباهاة والمباراة . وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : « أنه قال : من طلب العلم لأربعة دخل النار : ليباهي به العلماء

(١) سورة الكهف : الآية ٦٦ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٢ .
(٣) رواه أبو يعلى والبيهقي .

أو يماري به السفهاء أو يأخذ به الأموال أو يصرف به وجوه الناس إليه »(١) ، ومن شرائطه الاحتساب إليه في نشره وترك البخل به ، قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً »(٢) ، ومن شرائطه ترك الأنفة من قول : لا أدري ، قال — صلى الله عليه وسلم — في علو مرتبته لمّا سئل عن الساعة : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . وسئل عن الروح ؟ فقال : « لا أدري » ، ومن شرائطه التواضع ، قال الله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً »(٣) ، قال — صلى الله عليه وسلم — لأبي ذر : « يا أبا ذر ، احفظ وصية نبيّك عيسى أن ينفعك الله بها ، تواضع لله — عز وجل — عسى أن يرفعك يوم القيامة ، وسلّم على من لقيت من أمتي برّها وفاجرها ، والبس الخشن من الثياب ، ولا ترد بذلك إلا وجه الله تعالى ، لعل الكبر والحمية لا يجدان في قلبك مساغاً » . ومن شرائطه : احتمال الأذى في بذل النصيحة والاقتداء بالسلف الصالح في ذلك ، قال الله تعالى : « وإنه عن المنكر واصبر على ما أصابك »(٤) ، وقال — صلى الله عليه وسلم — : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت »(٥) ، ومن شرائطه أن يقصد بعلمه من كان أحوج إلى التعليم ، كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج ، فمن أحيا جاهلا بتعليم العلم ، فكأنما أحيا الناس جميعاً ، ومما قيل في تنبيه الغافل ورده إلى الطاعة :

من رد عبداً آبقاً شارداً عفا عن الذنب له الغافر

قوله — صلى الله عليه وسلم — : « إلا نزلت عليهم السكينة » ، هي فعيلة من السكون . أي الطمأنينة من الله ، قال الله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »(٦) ، وكفى بذكر الله شرفاً ذكر الله العبد في الملأ الأعلى ، ولهذا قيل :

وأكثر ذكره في الأرض دوماً لتذكر في السماء إذا ذكرتا

---

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .
(٤) سورة لقمان : الآية ١٧ .
(٥) رواه أبو نعيم في الحلية .
(٦) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

وقيل :

وساعة الذكر فاعلم ثروة وغنى وساعة اللهو إفلاس وفاقات

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ومن بطّأ به عمله » ، أي وإن كان نسيباً لم يسرع به نسبه إلى الجنة فيقدم العامل بالطاعة ، ولو كان عبداً حبشياً على غير العامل ، ولو كان شريفاً قرشياً ، قال الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١) .

مقاصد الحديث

١ – من فرّج عن مؤمن شدة من شدائد الدنيا فرّج الله عنه شدة من شدائد الآخرة .

٢ – من سهّل على معسر سهّل الله عليه في الدنيا والآخرة .

٣ – من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة .

٤ – يشد الله إزر العبد ما زال العبد يشد إزر أخيه .

٥ – طريق العلم طريق إلى الجنة .

٦ – من جلس لمدارسة القرآن جعل الله فيه الطمأنينة وحفته العناية الإلهية .

٧ – من قصر به عمله لم ينفعه نسبه .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا يختم له بخير .

٢ ـ تنفيس الكرب من أفضل الأعمال .

٣ ـ يستحب ستر المسلم إذا عمل فاحشة ولجأ إلى التوبة .

٤ ـ يستحب المشي في طلب العلم وتحمل المشقة لنيله .

٥ ـ يسن مجالسة العلماء وملازمتهم في السفر والحضر .

٦ ـ تقديم العبد الطائع الحبشي على السيد القرشي العاصي .

الحديث السابع والثلاثون

كـرم اللـه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَالَ : « إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا بِهَذِهِ الْحُرُوف .

مقدمة الحديث :

فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى ، وتأمل هذه الألفاظ ، وقوله: « عنده » إشارة إلى الاعتناء بها ، وقوله : « كاملة » للتأكيد وشدة الاعتناء بها ، وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها : « كتبها الله عنده حسنة كاملة » فأكدها بكاملة ، « وإن عملها كتبها سيئة واحدة » فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة ، فلله الحمد والمنة ـ سبحانه ـ لا نحصي ثناء عليه ، وبالله التوفيق .

---

(١) تقدمت ترجمته .

المقـــدمة :

هذا الحديث حديث عظيم دل على عظم فضل الله على خلقه ورأفته بهم ، إذ يعطي على الحسنة أضعافها والسيئة بواحدة ، والهم بالحسنة حسنة والهم بالسيئة لا شيء إن لم يعملها .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « كتبها الله عند عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » ، روى البزار في مسنده أنه – صلى الله عليه وسلم – قال : « الأعمال سبعة : عملان موجبان ، وعملان واحد بواحد وعمل الحسنة فيه بعشرة ، وعمل الحسنة فيه بسبعمائة ضعف ، وعمل لا يحصى ثوابه إلا الله تعالى . فأما العملان الموجبان : فالكفر والإيمان ، فالإيمان يوجب الجنة والكفر يوجب النار ، وأما العملان اللذان هما واحد بواحد ، فمن همّ بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة ، ومن عمل سيئة كتب الله عليه سيئة واحدة ، وأما العمل الذي بسبعمائة ضعف فهو الجهاد في سبيل الله ، قال الله تعالى : « كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة »(١) ، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنه يضاعف لمن يشاء زيادة على ذلك ، وقال الله تعالى : « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً »(٢) ، فدلت الآية والحديث وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – : إلى أضعاف كثيرة أن العشرة والسبعمائة كلمة ليست للتحديد ، وأنه يضاعف لمن يشاء ويعطي من لدنه ما لا يعد ولا يحصى ، فسبحان من لا تحصى آلاؤه ولا تعد نعماؤه فله الشكر والنعمة والفضل » ، وأما السابع فهو الصوم ، يقول الله تعالى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به »(٣) ، فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦١ (٢) سورة النساء : الآية ٤٠ .
(٣) رواه البخاري .

قوله (عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى (يعد هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ربه تبارك وتعالى . والحديث القدسي له درجته بعد القرآن الكريم ، فالرسول يرويه عن ربه بهاتف حسي يحقق لديه ما وصل إليه من ربه تبارك وتعالى ، قوله : إن الله تعالى يقول : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك » من عظيم لطف الله تعالى وواسع رحمته على عباده أن عاملهم بالفضل والإحسان ، فهو كتب الحسنات والسيئات ولكن سجل أعمال العبد ينقل الحسنة بأضعاف مضاغفة ، وينقل السيئة بسيئة واحدة على حد قول الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » ، فالله تعالى يبيّن ويوضح لعباده سعة رحمته ، وهذا المعنى نأخذه من قوله : « فمن همّ بحسنة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة » ، أراد الله أن يحقق لعباده اعتنائه الكامل بحسنة العبد إذا نوى بعملها .

فلذلك أخبر بأنه يكتبها عنده حسنة قبل أن يعملها بمجرد نيّة العبد ، وأما إذا عمل بها فهي مضاعفة ، كما أخبر بذلك قوله في : « وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » ، وهذا خير كبير وفضل عظيم منّ الله به على عباده ، وفي هذا المعنى يخبرنا القرآن العظيم في قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ، ففضل الله واسع وآلائه على عباده كثيرة ، فسبحانه لا نحصي ثناء عليه .

وتعالى معي أيها الأخ المسلم لتتصور معاملة الخالق لعباده عند زلة القدم وتدبر قوله تعالى : « وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » ، يا لله العجب ! همّ العبد بسيئة ولكنه توقف عن العمل خشية من الله ، كتبها الله حسنة من أين أتت هذه الحسنة ، من إنابة العبد لربه وخوفه من ارتكاب

السيئة ، وإذا تجرأ العبد فعمل السيئة ، انظر قول رب العالمين في مجازاته الخفيفة « وإن همّ بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة » ، يقصد بذكر الواحده تأكيداً لعدم تعدد السيئات ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك ، فلك الحمد حتى ترضى ، انتهى الشرح الإضافي ونحيل القارئ إلى ما ورد من شرح المؤلف – رحمه الله .

مقاصد الحديث

١ – أكد بالحسنة حسنة كاملة للاعتناء التام والإيضاح بفضله على عباده .

٢ – إذا عمل بالحسنة ضوعفت إلى حسنات كثيرة .

٣ – الذي يهم بالسيئة بدون عمل له حسنة كاملة .

٤ – الذي يعمل السيئة يكتب عليه سيئة واحدة فقط .

ما يستنبط من الحديث

١ – على المسلم أن يتخلق بأخلاق القرآن وسيرة السلف الصالح .

٢ – على المسلم أن يعتقد بكرم الله وفضله .

٣ – على المسلم أن يكافئ المحسن على إحسانه .

٤ – لا يحاسب الله المسلم الذي هم بالسيئة إذا لم يعملها .

٥ – فضل الله على عباده لا يعد ولا يحصى .

الحديث الثامن والثلاثون

غضب الله ورضاه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

المقـــدمة :

هذا الحديث جامع بين الشريعة والحقيقة ، إذ يبين أن الفريضة من أحب الأعمال ، ثم يبين أهمية السنن وأنها توصل إلى المحبة .

الشـــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ربه تعالى : « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » ، المراد هنا بالولي المؤمن ، قال الله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا »(٢) ، فمن آذى مؤمناً فقد آذنه الله : أي أعلمه الله أنه محارب له ،

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه ، فليحذر الإنسان من التعرّض لكل مسلم .
قوله تعالى : « وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه » ، فيه دليل على أن فعل الفريضة أفضل من النوافل ، وجاء في الحديث : « أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة »(١) . قوله تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » ، ضرب العلماء – رضي الله تعالى عنهم – لذلك مثلا ، فقالوا : مثل الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض ، ومثل غيره كمثل رجل أعطى لأحد عبديه درهماً ليشتري به فاكهة وأعطى آخر درهماً ليشتري فاكهة ، فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة فوضعها في قوصرة وطرح عليها ريحاناً ومشموماً من عنده ، ثم جاء فوضعها بين يدي السيد ، وذهب الآخر واشترى الفاكهة في حجره ، ثم جاء فوضعها بين يدي السيد على الأرض فكل واحد من العبدين قد امتثل ، لكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم فيصير أحب إلى السيد . فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله ، والمحبة من الله إرادة الخير ، فإذا أحب عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان ، واستعمل أعضاءه في الطاعة ، وحبب إليه سماع القرآن والذكر ، وكره إليه سماع الغناء وآلات اللهو ، وصار من الذين قال الله تعالى في حقهم : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه »(٢) ، وقال تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »(٣) ، فإذا سمعوا منهم كلاماً فاحشاً أضربوا عنه وقالوا قولا يسلمون فيه ، وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له ، وصار نظره نظر فكر واعتبار ، فلا يرى شيئاً من المصنوعات إلا استدل به على خالقه ، وقال عليّ – رضي الله عنه – : (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله تعالى قبله (. ومعنى الاعتبار : العبور بالفكر في المخلوقات إلى قدرة الخالق ، فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى ، ولا يمشي فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئاً عبثاً ، بل تكون حركاته وسكناته

---

(١) رواه ابن خزيمة .
(٢) سورة القصص : الآية ٥٥ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

لله تعالى ، فيثاب على ذلك في حركاته وسكناته وفي سائر أفعاله .

قوله تعالى : « كنت سمعـــه » ، يحتمل : كنت الحافظ لسمعه وبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان ، ويحتمل : كنت في قلبه عند سمعه وبصره وبطشه ، فإذا ذكرني كف عن العمل لغيري .

مقاصـــد الحديث

١ ـ أكرم أولياء الله يحبك الله والأولياءُ هم المتقون .

٢ ـ حافظ على الفرائض فإنها من أحب الأعمال عند الله .

٣ ـ واظب على السنن تكسب عظيم محبة الخالق .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ من عادى أولياء الله حاربه الله .

٢ ـ الفرائض لا يعادلها شيء وواجب أداؤها .

٣ ـ العمل بالسنن يقتضي الابتعاد عن المعاصي .

٤ ـ الطائع قريب من الله والمتقرّب بالنوافل في أعلى منزلة المحبة عند الله .

٥ ـ أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعاء من أحب من عباده .

مقاصـــد الحديث

١ ـ إذا أخطأ العبد وتاب إلى ربه تجاوز الله عنه .

٢ ـ إذا نسي المسلم وترك واجباً أو عملا مخالفاً فرجع بعده وذكر يتجاوز الله عنه .

٣ ـ إذا أُكره المسلم على ارتكاب مخالفة يغفر الله له ذلك .

٤ ـ لو طلق زوجته مكرهاً لم يقع عليه طلاقها .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ أن الله لا يؤاخذ إلا عن عمد وتصميم على خلاف .

٢ ـ هذا الحكم خاص للأُمّة المحمدية .

٣ ـ إذا ضاق الأمر اتسع .

الحديث الاربعـون

قصر الامــل

عَنِ ابْنِ عُمَرَ [1] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِنْكَبِي فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

مقدمة الحديث :

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الحياة الإسلامية ، فهو بحث على قصر الأمل ، وفيه ترغيب على التفرغ من هموم الدنيا والاشتغال بالآخرة .

الشــرح :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ، أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب به في غير وطنه الذي يريد الذهاب منه إلى أهله ، وهذا معنى قول سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ : « أمرني خليلي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن لا أتخذ من الدنيا إلا كتاع الراكب »(٢) . ومما قيل في الزهد في الدنيا :

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رواه ابن ماجة .

أتبني بنـــاء الخالـــدين وإنمـــا مقامك فيها لـو عقلت قليـــل
لقـد كان في ظل الأراك كفاية لمن كان فيها يعـــتريه رحيـــل

ومما قيل في الزهد في الدنيا :

ترجو البقـــاء بدار لا بقـاء لها وهـل سمعت بظل غير منتقـــل

وقال آخر :

سجنت بهـــا وأنت لهـــا محب فكيف تحب ما فيـــه سجنتا
فلا تلهـــو بدار أنت فيهـــا ستطعم منـــك يوماً ما لهـــوتا
وتطعمـك الطعام وعـن قـــريب ستطعم منـــك ما منها طعمنـــا

وفي الحديث دليل على قصر الأمل وتقديم التوبة والاستعداد للموت ، فإن أمّل إنسان فليقل: إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله »(١) . وقوله : « وخذ من صحتك » ، أمره – صلى الله عليه وسلم – أن يغتنم أوقات الصحة بالعمل الصالح فيها ، فإنه يعجز عن الصيام والقيام ونحوهما لعله تحصل من المرض والكبر . وقوله – صلى الله عليه وسلم – : « ومن حياتك لموتك » ، أمره – صلى الله عليه وسلم – بتقديم الزاد . وهذا كقوله تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لغد »(٢) ، ولا يفرّط فيها حتى يدركه الموت فيقول : « رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت »(٣) . وقال الغزالي – رحمه الله تعالى – : « ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة ، فإذا اكتسب خيراً ثم مات كفاه ولم يحتج بعد ذلك إلى الشبكة وهو البدن الذي فارقه بالموت . ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا واشتهت نفسه العمل الصالح ، لأنه زاد القبر ، فإن كان معه استغنى به ، وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد ، وذلك بعد ما أخذت منه الشبكة ، فيقال له : هيهات قد

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٣ .
(٢) سورة الحشر : الآية ١٨ .
(٣) سورة المؤمنون : الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

فات ، فيبقى متحيراً دائماً ، نادماً على تفريطه في أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة ، فلهذا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وخذ من حياتك لموتك » ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مقاصد الحديث

١ ـ لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً .

٢ ـ اغتنام الصحة بالعمل الصالح واغتنام الحياة بكسب الحسنات .

٣ ـ طلب الزاد لدار الآخرة وعدم الاغترار بالدنيا .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ التنبيه بالمصافحة أو بالأخذ تأكيداً للاهتمام .

٢ ـ قصر الأمل مع الحرص على العمل .

٣ ـ الإسراع في التوبة قبل حلول الأجل .

٤ ـ الاستعداد للموت ببراءة الذمة من حقوق الناس .

٥ ـ الحرص على الوقت واغتنامه في الخير .

الحديث الحادى والاربعون

هوى المؤمـــن

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

ترجمـــة الراوى

عبـــد الله بن عمرو بن العاص

كان من فضلاء الصحابة وعلمائهم وزهّادهم وعبّادهم ، يصوم النهار ويقوم الليل ، وكان من أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد عمي آخر عمره ، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر ، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مكة ومات بها سنة خمس وستين هجرية، عن اثنتين وسبعين سنة ، ومروياته سبعمائة حديث .

مقدمة الحديث :

هذا الحديث يصلح أن يقال فيه أنه كل الإسلام ، لإفادته أن من كان هواه تبعاً لجميع ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو المؤمن الكامل ، ومن أعرض عن جميع ما جاء به ومنه الإيمان فهو كافر .

الشـــرح :

قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، يعني أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب

والسنة ويخالف هواه ويتبع ما جاء به – صلى الله عليه وسلم – وهذا نظير قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »(١) ، فليس لأحد مع الله – عز وجل – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أمر ولا هوى . وعن إبراهيم بن محمد الكوفي قال : رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس ، ورأيت إسحاق بن راهوية وأحمد بن حنبل حاضرين ، فقال أحمد لإسحاق : تعال حتى أُريك رجلا لم تر عيناك مثله . فقال له إسحاق : لم تر عيناي مثله ؟ . قال : نعم ، فجاء به فوقفه على الشافعي ، فذكر القصة إلى أن قال : ثم تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعي فسأله عن كراء بيوت مكة ، فقال الشافعي : هذا عندنا جائز . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « فهل ترك لنا عقيل من دار » ؟ فقال إسحاق : أخبرنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك ، وعطاء وطاووس لم يكونا يريان ذلك ، فقال له الشافعي : أنت الذي تزعم أهل خراسان أنك فقيههم ؟ قال إسحاق : كذا يزعمون ! قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك فكنت آمراً بفرك أذنيك ، أنا أقول : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنت تقول قال عطاء وطاووس والحسن وإبراهيم ، هؤلاء لا يرون ذلك ؟ وهل لأحد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حجة ؟ ثم قال الشافعي : قال الله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم »(٢) أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين ؟ قال إسحاق : إلى مالكين . قال الشافعي : فقول الله تعالى أصدق الأقاويل . وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . وقد اشترى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – دار الحجلتين . وذكر الشافعي جماعات من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال إسحاق له : « سواء العاكف فيه والباد »(٣) ، فقال الشافعي : فالمراد به المجسد خاصة ، وهو الذي حول

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .
(٢) سورة الحشر : الآية ٨ .
(٣) سورة الحج : الآية ٢٥ .

الكعبة ، ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز لأحد أن ينشد في دور مكة ضالة ، ولا تحبس فيها البدن ، ولا تلقى الأرواث ، ولكن هذا في المسجد خاصة ، فسكت إسحاق ولم يتكلم ، فسكت الشافعي عنه .

مقاصد الحديث

١ - على المسلم أن يكون عمله موافقاً للكتاب والسنة .

٢ - على المسلم أن ينظر إلى أوامر الرسول **ويكون محباً** لكل ما أمر به .

٣ - إذا وجد المسلم في نفسه
مما أمر به الرسول **أن يعود الله ويتوب** .

ما يستنبط من الحديث

١ - الإعراض عن متابعة النبي كفر وفسق .

٢ - المسلم يجهد نفسه حتى يكون هواه تابعاً لما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - .

الحديث الثاني والاربعون

عفـو اللـه

عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً » رَوَاهُ التِّرْمُذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

المقـدمة :

هذا الحديث يدل على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده ، لكن لا يجوز لأحد كما قال بعضهم أن يغتر به وينهمك في المعاصي ، وإنما قصد منه بيان كثرة مغفرته ـ تعالى ـ لئلا ييأس المذنبون بكثرة الخطايا ، وعلى كل حال فهو أرجى حديث في السنّة .

الشـرح :

قوله تعالى : « عَنان السماء » هو بفتح العين المهملة ، قيل : هو السحاب وقيل : ما عنَّ لك منها : أي ظهر إذا رفعت رأسك . قوله تعالى : « ثم استغفرني غفرت لك » هو نظير قوله تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه

ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً »(١) . والاستغفار لا بد أن يكون مقروناً بالتوبة ، قال الله تعالى : « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه »(٢) وقال تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »(٣) .

واعلم أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين ، وقد يكون عن تقصير في أداء الشكر ، وهو استغفار الأولياء والصالحين ، وقد يكون لا عن واحد منهما ، بل يكون شكراً وهو استغفاره – صلى الله عليه وسلم – واستغفار الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – قال – صلى الله عليه وسلم – : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »(٤) ، وقال – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر – رضي الله عنه – : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً ، وفي رواية : كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » .

وهذا آخر ما يسره الله الكريم على سبيل الاختصار ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٠ .
(٢) سورة هود : الآية ٣ .
(٣) سورة النور : الآية ٣١ .
(٤) رواه النسائي .

مقاصد الحـديث

١ ـ الدعاء والرجاء من العبد يعقبه المغفرة من الله .

٢ ـ الله سبحانه وتعالى يغفر ذنوب العبد مهما كثرت إذا استغفره .

٣ ـ أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك .

ما يستنبط من الحديث

١ ـ طلب الدعاء من العبد .

٢ ـ الله سبحانه وتعالى يقبل توبة عبده إذا تاب إليه .

٣ ـ المغفرة لا تكون إلا للمؤمنين .

٤ ـ على المسلم أن يحسن ظنه بالله تعالى .

فهرست
شرح الأربعين حديثاً النووية

	الصفحة		الصفحة
المقدمـــة	٣	الحديث الحادي والعشرون	٩٨
حياة الإمام النووي	٥	الحديث الثاني والعشرون	١٠١
مقدمة الإمام النووي	٦	الحديث الثالث والعشرون	١٠٤
الحديث الأول	٨	الحديث الرابع والعشرون	١٠٩
الحديث الثاني	٢٢	الحديث الخامس والعشرون	١١٤
الحديث الثالث	٣٣	الحديث السادس والعشرون	١١٨
الحديث الرابع	٣٨	الحديث السابع والعشرون	١٢١
الحديث الخامس	٤٤	الحديث الثامن والعشرون	١٢٥
الحديث السادس	٤٧	الحديث التاسع والعشرون	١٢٨
الحديث السابع	٥٢	الحديث الثلاثون	١٣٣
الحديث الثامن	٥٦	الحديث الحادي والثلاثون	١٣٦
الحديث التسع	٥٩	الحديث الثاني والثلاثون	١٤٠
الحديث العاشر	٦٣	الحديث الثالث والثلاثون	١٤٢
الحديث الحادي عشر	٦٦	الحديث الرابع والثلاثون	١٤٦
الحديث الثاني عشر	٦٨	الحديث الخامس والثلاثون	١٥٠
الحديث الثالث عشر	٧١	الحديث السادس والثلاثون	١٥٤
الحديث الرابع عشر	٧٤	الحديث السابع والثلاثون	١٦٠
الحديث الخامس عشر	٧٦	الحديث الثامن والثلاثون	١٦٤
الحديث السادس عشر	٨١	الحديث التاسع والثلاثون	١٦٧
الحديث السابع عشر	٨٤	الحديث الأربعون	١٦٩
الحديث الثامن عشر	٨٦	الحديث الحادي والأربعون	١٧٢
الحديث التسع عشر	٩٠	الحديث الثاني والأربعون	١٧٥
الحديث العشرون	٩٥		

مطابع قطر الوطنية
الدوحة - قطر ص.ب ٣٥٥